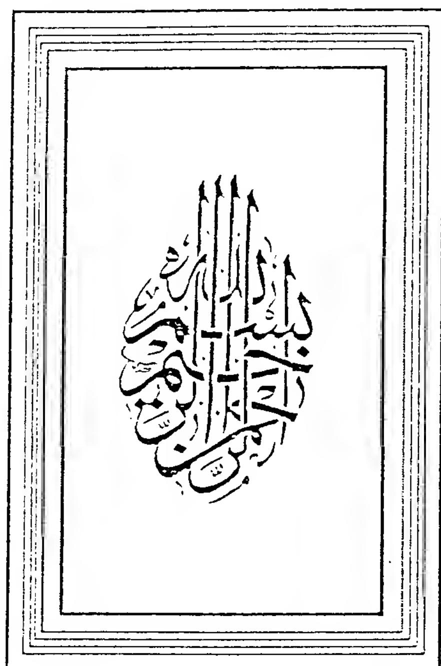
محمد بن ناصر العبودي

حديث قيرغيزستان

دراسة ومشاهدات ميدانية



دار خضر
للطباعة والنشر والتوزيع
ص.ب: ١٣/٦١٤١
بيروت ، لبنان


بسم الله الرحمن الرحيم

حديث قيرغيزستان

دراسة ومشاهدات ميدانية

الطبعة الأولى
١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

المؤلف

الشيخ محمد بن ناصر العبودي

ولد في مدينة بريدة عاصمة منطقة القصيم عام ١٩٣٠ م.

تعلم في مدارسها وتلقى العلم على يد عدد كبير من علمائها ومشايخها وكان من الملازمين للشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رحمه الله أحد كبار علماء المملكة العربية السعودية ورئيس المجلس الأعلى للقضاء وسافر معه إلى مكة المكرمة عندما انتدب لإنهاء القضايا المتأخرة في محاكمها.

ورغم ما يتمتع به من علم شرعي إلا أن ميله نحو الأدب طغى على كتاباته، ويعتبر من رواد أدب الرحلات في المملكة العربية السعودية ساعده على ذلك ما يتمتع به من ذاكرة قوية وملاحظة دقيقة وصبر على تجميع المعلومات وتوثيقها، وقد بلغ عدد كتبه في الرحلات (١٢٨) كتاباً طبع منها (٥٨) كتاباً والباقية لا تزال مخطوطة، وتعتبر كتبه مرجعاً علمياً بالإضافة إلى النكهة الأدبية الخاصة التي تبرز فيها فهو ذو أسلوب رشيق سلس.

حائز على ميدالية الاستحقاق في الأدب عام ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.

شغل وظائف رئيسية منها مدير المعهد العلمي في بريدة من عام ١٣٧٣ هـ إلى عام ١٣٨٠ هـ، ثم نقل إلى وظيفة الأمين العام للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة عندما افتتحت وكان من الموظفين المؤسسين للجامعة وذلك لمدة ثلاث عشرة سنة.

عين بعدها وكيلاً للجامعة الإسلامية لمدة سنة واحدة.

- ثم نقل إلى وظيفة الأمين العام للدعوة الإسلامية برتبة وكيل وزارة (المرتبة الخامسة عشرة) وبقي فيها ثماني سنوات.

- ثم اختير أميناً عاماً مساعداً لرابطة العالم الإسلامي بالمرتبة الممتازة.

- له بحوث عديدة واشترك في عشرات المؤتمرات الإسلامية والأدبية.

- عضو في عدة هيئات ومؤسسات علمية أدبية مثل رابطة الأدب الإسلامي والجمعية الجغرافية السعودية والنادي الأدبي في القصيم ونادي الرياض الأدبي.

- عضو عامل في العديد من اللجان الحكومية منها لجنة الوكلاء واللجنة التحضيرية للدعوة ولجنة تقويم أم القرى... إلخ.

مؤلفاته المطبوعة في الرحلات:

١ - في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - بيروت - دار الثقافة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.

٢ - رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا - الرياض دار العلوم ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م.

٣ ـ مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين، الرياض النادي الأدبي ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م.

٤ ـ جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جنوب المحيط الهندي، الرياض المطابع الأهلية للأوفست ١٤٠٢ م/ ١٩٨٢ م.

٥ ـ رحلة إلى سيلان، نشرته جمعية الثقافة والفنون ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٢ م.

٦ ـ صلة الحديث عن إفريقية: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين، نشرته دار العلوم في الرياض عام ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م.

٧ ـ مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين، نشره نادي القصيم الأدبي، بريدة عام ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م.

٨ ـ إطلالة على نهاية العالم الجنوبي، نشره نادي مكة الثقافي، مكة المكرمة عام ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٢ م.

٩ ـ زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية، طبعته المطبعة الأهلية للأوفست في الرياض ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٤ م.

١٠ ـ شهر في غرب إفريقية، مشاهدات وأحاديث عن المسلمين، طبع المطبعة الأهلية للأوفست في الرياض عام ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٤ م.

١١ ـ في نيبال بلاد الجبال رحلة وحديث في شؤون المسلمين، مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.

١٢ ـ رحلات في أمريكا الوسطى، الرياض المطابع الأهلية للأوفست عام ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.

١٣ ـ إلى أقصى الجنوب الأمريكي، رحلة في الأرجنتين وتشيلي، مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م.

١٤ ـ على ضفاف الأمازون: رحلة في المنطقة الاستوائية في البرازيل، أبها، النادي الأدبي ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م.

١٥ ـ على قمم جبال الأنديز، طبع مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م.

١٦ ـ في غرب البرازيل، مطابع الفرزدق التجارية بالرياض ١٤١٢ هـ/ ١٩٩١ م.

١٧ ـ في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر، طبع بمطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢ هـ/ ١٩٩١ م.

١٨ ـ بقية الحديث عن إفريقية، مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٢ هـ.

١٩ ـ جولة في جزائر البحر الكاريبي، مطابع الرياض الأهلية للأوفست عام ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م.

٢٠ ـ جولة في جزائر جنوب المحيط الهادىء، مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م.

٢١ ـ داخل أسوار الصين (مجلدان)، مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢ م.

٢٢ ـ بلاد الداغستان، طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٣ هـ.

٢٣ ـ الرحلة الروسية، مطابع الفرزدق عام ١٤١٤ هـ.

٢٤ ـ مع المسلمين البولنديين، مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣ هـ.

٢٥ ـ جمهورية أذربيجان، طبع مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢ م.

٢٦ ـ في أعماق الصين الشعبية نشرته مجلة المنهل.

٢٧ ـ بين الأرغواي والباراغواي مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢ م.

٢٨ ـ بورما الخبر والعيان طبع في بيروت عام ١٤١٢ هـ.

٢٩ ـ مقال عن بلاد البنغال، طبع بالرياض عام ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م.

٣٠ ـ ذكريات من يوغسلافيا، مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م.

٣١ ـ كنت في بلغاريا، مطابع الفرزدق عام ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م.

٣٢ ـ في جنوب الصين، طبع رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤ هـ.

٣٣ ـ كنت في ألبانيا، مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٤ هـ.

٣٤ ـ ذكرياتي في إفريقيا، محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

٣٥ ـ أيام في النيجر، طبع في بيروت عام ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤ م.

٣٦ ـ على أرض القهوة البرازيلية، مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٥ هـ.

٣٧ ـ نظرة في شرق أوروبا، وحالة المسلمين بعد الشيوعية، طبع بيروت عام ١٤١٤ هـ.

٣٨ ـ بين غينيا بيساو وغينيا كوناكري مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤ هـ.

٣٩ ـ من أنقولا إلى الرأس الأخضر، مطابع الفرزدق بالرياض عام ١٤١٤ هـ.

٤٠ ـ سياحة في كشمير، مطابع الفرزدق عام ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م.

٤١ ـ يوميات آسيا الوسطى، مطابع الفرزدق عام ١٤١٤ هـ.

٤٢ ـ نظرة في وسط إفريقية، مطابع الفرزدق عام ١٤١١ هـ/ ١٩٩١ م.

٤٣ ـ بلاد القرم نشرته دار القبلة في جدة.

٤٤ ـ قصة سفر في نيجيريا (مجلدان)، طبع مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥ م.

٤٥ ـ حديث قازاقستان، نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع:،

٤٦ ـ المسلمون في لاوس وكمبوديا (رحلة مشاهدات ميدانية) نشرته رابطة العالم الإسلامي وطبع في مطبعتها ١٤١٦ هـ.

٤٧ ـ في جنوب الهند، من سلسلة الرحلات الهندية طبع مطبعة الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٥ ـ ١٩٩٥ م.

٤٨ ـ رحلات في أمريكا الجنوبية: غيانا وسورينام.

٤٩ ـ إطلالة على استراليا: طبع في مطابع التقنية للأوفست ـ الرياض عام ١٤١٧ هـ.

٥٠ ـ أيام في فيتنام: نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧ هـ.

٥١ ـ راجستان: بلاد الملوك، زيارة وحديث عن أحوال المسلمين، مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٥ ـ ١٩٩٥ م.

٥٢ ـ في غرب الهند ـ من سلسلة الرحلات الهندية، نشرته رابطة العالم الإسلامي عام ١٤١٧ هـ.

٥٣ ـ إطلالة على موريتانيا، نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧ هـ.

٥٤ ـ حديث قيرغيزستان دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت. عام ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م وهو هذا.

٥٥ ـ زيارة رسمية لتايوان. نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م.

٥٦ ـ سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور زيارة لمالي، وحديث عن ماضيها المجيد وحاضرها الجديد، مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨ م.

مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات:

١ ـ معجم بلاد القصيم في ستة مجلدات نشرته دار اليمامة بالرياض عام ١٣٩٩ هـ، ثم طبع مرة ثانية في عام ١٤١٠ هـ.

٢ ـ أخبار أبي العيناء اليمامي، طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨ هـ.

٣ ـ الأمثال العامية في نجد، خمسة مجلدات، ساعدت دارة الملك

عبد العزيز في الرياض على طبعه ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨ هـ.

٤ ـ كتاب الثقلاء نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي. عام ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م.

٥ ـ نفحات من السكينة القرآنية طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس، ونشرته دار العلوم في الرياض عام ١٤٠٣ هـ.

٦ ـ مأثورات شعبية نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م.

٧ ـ سوانح أدبية، طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٩ هـ.

٨ ـ صور ثقيلة، مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥ هـ.

٩ ـ العالم الإسلامي والرابطة، نشرته رابطة العالم الإسلامي وطبع في مطبعتها عام ١٤١٤ هـ.



بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

براءة

تكريم الأدباء السعوديين

يسر وزير المعارف والرئيس الأعلى لجامعة الملك عبد العزيز - بناء على الصلاحيات المخولة له وبناء على المادة التاسعة والعشرين من نظام الجامعة وبعد الاطلاع على محضر مجلس الجامعة الثالث المنعقد بتاريخ ٥ / ٣ / ١٣٩٤ والمبني على توصيات اللجنة الفنية المنبثقة عن المؤتمر الأول للأدباء السعوديين لتكريم الأدباء.

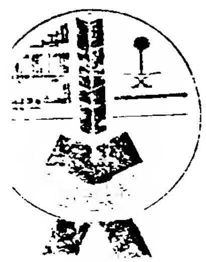
ان يمنح السيد / محمد بن ناصر العبودي ميدالية الاستحقاق تكريماً لجهوده وانتاجه الفكري

والله ولي التوفيق.

صدرت بمكة المكرمة في ٥ / ٣ / ١٣٩٤هـ
الموافق ٢٨ / ٣ / ١٩٧٤م

مدير الجامعة

وزير المعارف
والرئيس الأعلى للجامعة



مقدمة

الحمد لله على نعمائه، والشكر له على فضله وآلائه، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله سيد رسله وأنبيائه صلّى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بأحسان.

أما بعد: فإن جمهورية قيرغيزستان هي إحدى الجمهوريات المسلمة فيما كان الروس يسمونه آسيا الوسطى السوفيتية وهي عند أسلافنا معتبرة من بلاد ما وراء النهر الذي هو نهر جيجون عندهم واسمه الآن (امو داريا) ويؤلف مجراه بعض الحدود ما بين أفغانستان وما كان يسمى بالإتحاد السوفييتي.

وقد استقلت (قيرغيزستان) مع من استقل من جمهوريات عندما تفتت الاتحاد السوفييتي، وسقطت الرابطة الشيوعية التي كانت تربط بين أعضائه فسقط الأعضاء أنفسهم منه.

وقد زرتها بعد استقلالها من بين ما زرته من الأقطار الآسيوية المسلمة، فيما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي على رأس وفد من رابطة العالم الإسلامي، كان يصحبني فيه الأخ الكريم الأستاذ محمد محمود حافظ المدير العام للإعانات والمشاريع في رابطة العالم الإسلامي

والأستاذ رحمة الله بن عنابة الله مدير إدارة الدراسات والبحوث في الرابطة.

وقد سجلت أثناء تلك الزيارة أشياء في مذكرتي عن جمهورية (قيرغيزستان) رأيت أن أشرك القارىء الكريم في قراءتها، لأن المعلومات عن هذه البلاد المسلمة الشقيقة كانت ضحلة بل نادرة وأضفت إليها دراسة مختصرة في التعريف بهذه الجمهورية عسى أن يجد فيها القارىء بعض ما ينشده من فائدة ومعرفة.

والله ولي التوفيق إلى أقوم طريق.

المؤلف
محمد بن ناصر العبودي

لتعريف بجمهورية قيرغيزستان

قازاقستان
بشكك
توقماق
برجفالسك
ايسيق كول
جو
سون كول
نارين
نارين
قيرغيزستان
كورباشى
اتاباشى
جلال آباد
جاتير كول
اوش
أوزبكستان
Hg
Hg
Hg
1
2
تاجيكستان
تركستان الشرقية

جمهورية قيرغيزستان

الزراعة	المعادن	المصانع
محاصيل الحبوب	الفحم	الهندسة وصناعة المعادن
مواشي	الفحم	الهندسة الكهربائية
أغنام	النفط	صناعة مواد البناء
خيول	الغاز	الصناعة الخفيفة
محاصيل فنية	مواد مركبة	مصانع الأطعمة
خضروات	Hg رواسب معادن نادرة	١ـ محطة توتوغول للقوى الطاقة المائية
	ينابيع مياه حارة ومعدنية	٢ ـ محطة أوج كورغان للقوى الطاقة المائية

الثروات المعدنية والزراعية والصناعية في جمهورية قيرغيزستان

جمهورية قيرغيزستان

تقع جمهورية قيرغيزستان في شمال شرق آسيا الوسطى على سفوح جبال تنكري تاغ شرقاً وجبال آلاو المتفرعة من عقدة بامير شمالاً. وهي عموماً بلاد جبلية إذ يبلغ متوسط ارتفاعها عن مستوى سطح البحر حوالي ٥٠٠ متر. ويصل ارتفاع أعلى نقطة في جبال الآو إلى ٧٤٣٩ متراً في قمة يوبدي وفي جبال تنكري تاغ إلى ٦٩٩٥ متراً في قمة خان تنكري.

وأما وادي مارين الذي يقطع هذه الجبال فيبلغ ارتفاعه عن سطح البحر ما بين ١٣٠٠ ـ ٣٢٠٠ متراً وطوله ٣٠٠ كلم، ومتوسط عرضه ٥٠ كلم، وبحيرة ايسين كول من أكبر البحيرات إذ تبلغ مساحتها ٦٢٢ كلم^{٢}، وتقع على ارتفاع ١٦٠٩ متراً فوق مستوى سطح البحر.

وتبلغ مساحة قيرغيزستان ١٩٨٥٠٠ كلم^{٢} وتشتمل على أربع مقاطعات و ١٨ مدينة و ٤٠ مستوطنة وعاصمتها بشكك Biskek وعرفت خلال الحكم السوفياتي باسم فرونزه.

سكان قيرغيزيا:

يقدر سكان قيرغيزستان بحوالي ٤,٧ مليون نسمة ويتكونون من قوميات مختلفة عددها ٨٠ قومية وأهمها:

القيرغيز	٩,٤٧٪
الروس	٩,٢٥٪
الأوزبك	١,١٢٪
الأوكرانيون	١,٣٪
الألمان	٩,٢٪
التتار	٢٪
الأيغور	١٪
القازاق	١٪

وبلغ عدد أفراد شعب القيرغيز ٢٥٣٠٩٩٨ نسمة في الاتحاد السوفياتي بموجب إحصاء عام ١٩٨٩ م، يعيش ٨٨,٥٪ منهم في جمهوريتهم قيرغيزيا ومنهم ٧,٥٪ في جمهورية أوزبكستان و ٢,٥٪ منهم في جمهورية تاجيكستان. أما في خارج قيرغيزيا ورابطة الدول المستقلة فالقيرغيز يتواجدون في تركستان الشرقية حيث بلغ عددهم ١٤١٥٤٩ نسمة في احصاء عام ١٩٩٠، وكذلك في أفغانستان وتركيا.

تأسست جمهورية قيرغيزستان (قيرغيزيا) في غرة فبراير ١٩٢٦ باسم جمهورية قيرغيزيا السوفياتية الاشتراكية ذات الحكم الذاتي ثم تحولت إلى جمهورية قيرغيزيا السوفياتية الاشتراكية بتاريخ ٥ ديسمبر ١٩٣٦، وأخيراً أعلنت استقلالها وانفصالها عما كان يسمى الاتحاد السوفياتي في ٤١ أغسطس ١٩٩١ م. ثم جرى انتخاب الدكتور عسكر



داخل مسجد تحت البناء في ضواحي بشكك مع الأخوة القيرغيز

أكاييف رئيساً لجمهورية قيرغيزستان في ١٥ أكتوبر ١٩٩١ م.

والدكتور عسكر أكاييف Pyof. Askar Akaye ولد في قرية قيزيل بايران في ١٠ نوفمبر ١٩٤٤ م، وتخرج في معهد البولينك نيك في لينينغراد (سانت بطرسبورغ الحالية)، قضى فيه ١٧ عاماً، حصل خلالها على درجة الدكتوراه وعمل في قسم الميكانيكا والرياضيات ثم عاد إلى قيرغيزستان مع بداية البيرويسترويكا وهي إعادة البناء التي أعلنها الرئيس قورباتشوف.

وفي عام ١٩٨١ م انضم إلى الحزب الشيوعي وترأس قسم العلوم

والمعارف في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي القيرغيزي في عام ١٩٨٦ ولكنه اختلف مع أمين عام الحزب الشيوعي القيرغيزي وانتقل إلى منصب نائب رئيس أكاديمية العلوم في عام ١٩٨٧ ثم أصبح رئيساً لها عام ١٩٨٩ م.

ثم اشترك في الانتخابات التي جرت لانتخاب رئيس الجمهورية وتضمنت سياسته الدعوة إلى ضمان سيادة جمهورية قيرغيزستان، ومتابعة عملية التحديث الديمقراطي والاهتمام بالشؤون الاجتماعية والتقاليد الوطنية. وكان من معارضي الانقلاب الفاشل الذي جرى ضد الرئيس مخائيل قورباتشوف في أغسطس ١٩٩١...

وقد فاز الدكتور عسكر أكاييف بنسبة ٩٤٪ ضد خمسة منافسين كان أحدهم الأمين العام للحزب الشيوعي القيرغيزي.

اقتصاد قيرغيزستان:

مع أن دخل الفرد الوطني بلغ ٣٠٣٠ دولاراً في عام ١٩٨٩ فقيرغيزستان جمهورية ذات مواد خام محدودة الإنتاج، ويمتهن أغلب سكانها الزراعة والرعي.

وأهم محاصيلها الزراعية القمح والذرة والبنجر.

ويبلغ عددالأغنام أكثر من عشرة ملايين رأس، وتعتبر ثالث جمهورية تصدر لحم الضأن والصوف في جمهوريات رابطة الدول المستقلة من حيث المقدار.

أما ثروتها المعدنية فهائلة حيث تنتج كمية كبيرة من الفحم بمعدل خمسة ملايين طن في السنة علاوة على أنها تنتج الذهب

والقصدير والزئبق والنحاس وكذلك اليورانيوم والزنك والنفط والغاز.

وعلى ضوء المتغيرات الجديدة فإن قيرغيزستان تحاول اليوم تغيير بنيتها الاقتصادية وهي تتطلع إلى دعم الدول الأجنبية في مجال تقديم التكنولوجيا والمعونات الاقتصادية، وقد تم مؤخراً إقامة ثلاثة مصانع بالتعاون مع كوريا الجنوبية. كما أقر برلمانها قانون الاستثمارات الذي يعتبر أكثر القوانين الصادرة في رابطة الدول المستقلة أفضلية للمستثمر الأجنبي.

[illegible]

تنتسب اللغة القيرغيزية إلى الفرع القبجاقي للغة التركية، ولها صلة باللغة الإلتائية ولها ثلاث لهجات وهي الشمالية والجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية، وتتميز القيرغيزية بكثرة المفردات الدخيلة مثل المغولية والعربية والإيرانية والروسية.

وكانت القيرغيزية تكتب مثل غيرها من اللغات التركية بالأحرف العربية حتى عام ١٩٢٨ م، عندما تغيرت إلى اللاتينية، وفي عام ١٩٤٠ تحولت إلى الأحرف السلافية بسبب تواجد قوميات مختلفة تستخدم اللغات الروسية ـ الأوزبكية ـ القازاقية الناجيكية ـ الإيغورية ـ الصينية في المدارس.

تنقسم المدارس إلى مرحلتين هما الابتدائية والثانوية ومدة الدراسة ١٢ عاماً.

وقد تأسست جامعة قيرغيزيا في بشكك عام ١٩٥١ كما توجد معاهد متخصصة في الزراعة والطب وغيرهما. وتأسست أكاديمية العلوم في ١٩٥٤ م.

القيرغيز في التاريخ:

القيرغيز من القبائل التي كانت تستوطن أعالي نهر ينسي Yenisce في سيبريا قبل الميلاد، وقد ذكرت في السجلات الصينية القديمة باسم كين ـ كون Kien - Kuen وهو تحريف أصلي لاسم قيرقون Kin Kun الذي أطلقه المغول عليهم. بالإضافة إلى ذلك ذكرت المصادر الصينية من أسمائهم لى كون Likun ويان كون Jian Kun وكي ـ لي Ki - LI.

وأما كلمة قيرغيز التي ترد في المراجع العربية بشكل قيرخيز ـ قرقز ـ قرقير فيرجع أصلها كما تقول الأساطير إلى كلمة قريق ـ قيز التي تعني أربعين بنتاً. وهناك جملة تفسيرات لمنشأ هذا الاسم ومنها ما ورد في اسطورة ماناس القيرغيزية التي تصف بطولات القيرغيز وفارسهم ماناس الذي يرأس فرقة تتكون من أربعين شاباً وزوجته كانيكي خاتون التي لها أربعون وصيفة.

وقد ظهر القيرغيز في مسرح التاريخ في دولة هون أو هيونغ ـ نو التي فرضت سيطرتها على آسيا الوسطى فيما بين ١٣٠٠ ق. م ثم ساهم القيرغيز في تأسيس دولة توپا To - Pa في شمال الصين التي عرفت في السجلات الصينية باسم وي Wei. ولكن قبائل الأوار الذين سماهم الصينيون جوان جوان Juan - Juan تمكنت من بسط سيادتها على منطقة التاي حتى إذا كان عهد ملكها تولون Fu Ming - tun (٤٨٥ ـ ٤٩٢ ك) كانت ممنكة الأوار تضم بلاد القيرغيز.

وفي عام ٥٤٦ م اشترك القيرغيز مع قبائل تولوس وهم أنسباء الأويغور في حروب ضد الأوار، انتهت بهزيمة الأوار وظهور دولة كوك تورك في آسيا الوسطى ٥٥٣ م.

تبث الإذاعة والتلفزة برامجها باللغات القيرغيزية والأوزبكية والروسية والألمانية والصينية كما تصدر صحف بهذه اللغات، ومن أشهرها جريدة قيرغيزيا التي بدأ صدورها عام ١٩٢٤ م ومن أشهر أدبائهم المعاصرين جنكيز ايتماتوف وقد ترجمت بعض رواياته إلى العربية.

معنى قيرغيز:

قال الشيخ الرمزي في كتابه «تلفيق الأخبار»: أما قرغز فهي في الأصل قبيلة كبيرة من قبائل الترك من بقايا ذرية أوغوزخان أو ذرية بعض مقربيه وأمرائه وكان (غز) مخفف أوغوز قد خرجوا إلى الديار الإسلامية في أوائل العصر الخامس الهجري وجرت لهم فيها وقائع كثيرة واشتهروا باسم غز وغزية وقر في لغة الترك بمعنى البرية فمعنى قرغزي بمعنى غز البرية بإضافة غز إلى قر البـرية في كليهما فإن المضاف إليه يقدم في التركية فيكون اسماً مخصوصاً لمن سكن في البرية من غز.

وعلى كل حال فمساكنهم الآن في جبال آلاطاغ الشهير عند الروس والمتروس والإفرنج والمتفرنج بآلتاي محرفاً منه سمي به لدوام الثلج في كثير من ذراه المرتفعة شتاء وصيفاً فيرى من بعيد في الصيف أبقع وأبلق ومعنى آلا بالتركية الأبقع والأبلق. وقد عجز الإفرنج عن معرفة مأخذ اشتقاقه ووجه تسميته به وهذه هي حقيقته خذوها مجاناً وهم كلهم مسلمون ليس فيهم من يتمذهب بمذهب آخر قط إلا أن الجهل فاش وسائد فيهم.

وفي الوقت الذي اختفت كلمة تولوس بحلول كلمة كوك تورك فإن بعض قبائل القيرغيز لا تزال تحمل اسم تولوس إلى اليوم.

واحتفظ القيرغيز بدولتهم وكان ملكهم يلقب بلقب «از» ويتبعه ستة أمراء ويقدر عدد جيشه بحوالي ٨٠ ألف جندي. ودخل القيرغيز بسبب الدسائس الصينية في حروب مع دولة كوك تورك وحليفتها دولة الأويغور. وفي عام ٨٤٠ تمكن ياغلا قارخان ملك القيرغيز من غزو مدينة أوتكه ن عاصمة الأويغور في حوض أورخون في منغوليا، وبهذا ظهرت أول دولة لقبائل القيرغيز بسطت سلطانها فيما بين صحراء غوبي جنوباً وجبال سيبيريا شمالاً في شرق جبال تاربغتاي، ودامت سيادتها بين المد والجزر إلى أن خضع القيرغيز لحكم جنكيزخان امبراطور المغول في عام ١٢٠٧ م. واضطرالقيرغيز بسبب ضغوط المغول إلى ترك موطنهم الأصلي وخاصة بعد الحروب التي أشعلها ايسان تايجي زعيم قبيلة اوبرات المغولية ضد القيرغيز في عام ١٤٤٩ م.

وهاجر معظم قبائل القيرغيز إلى منطقة جبال تنكري تاغ (تيان شان). وبقي قسم منهم في موطنهم القديم في أعالي نهر ينسي حيث يعرف أحفادهم اليوم باسم خاكاس. ثم غزاها المغول وكانت من نصيب جغتاي خان عندما وزع جنكيزخان أملاكه بين أبنائه الأربعة.

وفي هذه الفترة قدمت قبائل القيرغيز اليها وتزايد استيطانهم فيها خلال القرن الخامس عشر الميلادي حتى يقال بأن عدد خيامهم كانت تتراوح ما بين ٣٠٠٠ ـ ٤٠٠٠ خيمة. وأثناء احتلال الصين لتركستان الشرقية أخضعها المنشوريون لحكمهم، ولكن أمير المسلمين محمد علي خان خوقند، أي ملكها أو حاكمها ضمها إلى خانيته عام ١٨٢٦ م، بيد أن خانية خوقند وقعت تحت الاحتلال الروسي واستولت

روسيا على بشكك في ٤ سبتمبر ١٨٦٠ وأكملت غزو قيرغيزيا بالاستيلاء على وادي آلاي في عام ١٨٧٦ م.

وعقب الاحتلال بدأت روسيا تنفذ سياسة التهجير والاستيطان حيث أنشأت عشرين مستوطنة روسية فيما بين ١٩٠٧ ـ ١٩١٤، وقد أدى هذا إلى تدفق الروس المهجرين ومصادرة أراضي مسلمي قيرغيزيا وأملاكهم ومواشيهم وأغنامهم مما تسبب في انتشار المجاعة بين المواطنين وتعرضهم لأعمال الإبادة والتقتيل حتى بلغ عدد القتلى ١٥٠,٠٠٠ قيرغيزي وانخفضت نسبة المسلمين فكان عددهم أقل من المستوطنين الروس.

وإبان الثورة الشيوعية نهض القيرغيز مع اخوتهم الأوزبك والقازاق ضد الحكم الروسي ولكن الوالي العام الجنرال كوروبا تكين A. N. Kuvopatkin أصدر أمره بقتل جميع الثوار الوطنيين في الأول من فبراير ١٩١٧ م.

ورغم أن ذلك القائد الروسي كان يمثل الإمبراطورية الروسية إلا أن الشيوعيين لم يكونوا أفضل منهم إذ تولى الجنرال فرونز M. V. Frunz قيادة الجيش الأحمر السوفياتي وعمل على بسط السيطرة الشيوعية وابادة المناضلين الوطنيين بوحشية حتى إن سكان ولاية بيتي سو البالغ عددهم ٨٩٨٦٤ أسرة لم يبق منهم إلا ٣٠٧٨٧ أسرة. وقد فاز الجنرال فرونزه Frunze بمكافأه على وحشيته بأن سميت مدينة بشكك باسمه إلى أن تم تغييره مؤخراً إلى بشكك عاصمة قيرغيزستان ومع ذلك فقد اشترك القيرغيز في الثورات الوطنية التي عرفت باسم الآش أورده في قازاقستان واستمرت إلى نهاية عام ١٩٢٠، وكذلك في

ثورة باسمه جي في وادي فرغانة التي استمرت إلى أوائل عام ١٩٣١.

وقد تعرض سكان قيرغيزستان إبان حكم الدكتاتور جوزيف ستالين إلى إجراءات وحشية حيث قتل أكثر من ثلاثين ألفاً من زعمائهم ورجالاتهم وهاجر الآلاف منهم إلى تركستان الشرقية وأفغانستان وباكستان، كما تم تهجير جماعات منهم إلى سيبيريا.

واضطر قيرغيز جنوب التاي إلى الهجرة على أثر الحروب التي دارت بين الجونغار وأسرة تشنغ المنشورية في شمال تركستان الشرقية عام ١٧٥٠ م، وانتقلت الجماعة الأولى منهم إلى منطقة قوبدو عام ١٧٥٨ والجماعة الثانية إلى جبال كانغاي Kang'ai عام ١٧٦١، وتوجد هاتان الجماعتان من القيرغبز في أقصى الشرق من مقاطعة هيلونغ هيانغ heilong jiang في الصين.

لم يستقر وضع القيرغيز السياسي في غرب جبال تنكري تاغ (تيان شان) فبعد خضوعهم لامبراطورية تشنغ Ching المنشورية التي أطاحت بدولة الجونغار واحتلت تركستان الشرقية عام ١٧٥٩ قبل القيرغيز بسيادة خانية خوقند في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي وعندما وقعت خانية خوقند تحت السيطرة الروسية عام ١٨٦٨ م خضع القيرغيز بالتالي لإمبراطورية روسيا وأقام الروس قاعدة لهم في بشكك عام ١٨٦٢، وتم لهم احتلال قيرغيزيا بغزو وادي آلاي عام ١٨٧٦. وهاجر على أثر ذلك جماعة من القيرغيز إلى بامير وأفغانستان.

أما قبل ذلك فإنه في الاضطرابات التي أعقبت سقوط دولة تيمورلنك كان القيرغيز في تحالف مع قبائل القازاق الذين يعرفونهم



وفد الرابطة مع بعض الأخوة القيرغيز

باسم قراقرغيز، ومع بداية الغزو الروسي لبلاد القازاق عام ١٧٢٣ أطلق الروس اسم القيرغيز على قبائل القازاق بينما استعملوا اسم قراقرغيز على قبائل القيرغيز التي كانت تسمي نفسها بوروت.

تاريخ قيرغيزستان:

تحدثنا عن القيرغيز وأنهم قبائل رعوية هاجرت من أعالي نهر ينسي في سيبريا إلى موطنها الحالي قيرغيزستان ونتحدث عن تاريخ

هذا الموطن الجديد قبل قيام جمهورية قيرغيزستان فيه.

أظهرت الحفريات الأثرية وجود حياة بشرية فيه في العصر الحجري. وكان سكان قيرغيزيا يعملون في الزراعة والرعي في العصر البرونزي وازدهرت فيها صناعة الحديد. وفي القرون الأولى كانت قيرغيزيا ضمن دولة ساكا (١٢٠٠ ق. م - ٣٠٠ ق. م) وقد غزاها الإسكندر المقدوني عام ٣٢٩ ق. م. ثم دخلت في أملاك دولة الوسون التي نشأت في التاي (٧٠٠ ق. م - ١٠٠ م)، وفي عهد دولة كوشان (٢٥ - ٤٢٥ م) كانت قيرغيزيا من أهم المناطق التي لعبت دوراً في حياتها، وأما دولة كوك تورك فقد اتخذت مدينة سوياب قرب مدينة توقماق الحالية في وادي نهر جو عاصمة لها.

وفي القرن الثامن الميلادي قدم إليها القارلوق مؤسسين دولة لهم استمرت إلى منتصف القرن العاشر الميلادي. ولما تأسست دولة قراخان الإسلامية كانت مدينة بالاساغون عاصمة لها.

تشرف القيرغيز بالإسلام في موطنهم الأصلي شمال جبال التاي ويتضح من أسطورة ماناس التي يعود تاريخها إلى القرن الرابع عشر الميلادي بأن القيرغيز كانت لهم بطولات في نشر الإسلام بين قبائل القالموق المغولية، ومع ذلك يبدو أن بعض قبائلها النائية أسلمت بعد انتقالها إلى موطنها الحالي.

والقيرغيز مسلمون سنيون من أهل السنة والجماعة، ولكن الحياة الرعوية التي يتصفون بها مع ما تعرضوا له من حروب وما جرت عليهم الشيوعية من فكر مادي وإلحاد أدى إلى ضعف ثقافتهم الإسلامية مع أن

القيرغيزي عندهم هو المسلم إذ لا يتصورون أن يكون القيرغيزي غير ذلك.

أما دخول الإسلام إلى قيرغيزستان فيرجع إلى القرن الأول الهجري عندما وصل قتيبة بن مسلم الباهلي بفتوحاته إلى وادي فرغانة ثم دفن في رباط سرهنك في قيرغيزستان عام ٩٦ هـ/ كما توجد في مدن أوش وتوقماق وسرياب وجلال آباد كثير من الآثار الإسلامية، ويبلغ نسبة المسلمين في قيرغيزستان ما لا يقل عن ٦٨٪ من جملة السكان.

وقد أدت محاربة الشيوعيين للإسلام أن تقلص عدد المساجد فلم يعد يوجد في بشكك عاصمة قيرغيزستان إلا مسجد واحد كما أن مدينة أوش التي تعتبر مركز الثقل الإسلامي في جزء فرغانة الذي يقع في قيرغيزستان احتفظت ببعض المساجد الأثرية مثل مسجد رباط عبد الله جان.

ومع استقلال جمهورية قيرغيزستان والانفتاح السياسي والتغييرات التي تعيشها البلاد فقد نشط بناء المساجد حتى إن في العاصمة حالياً أكثر من عشرة مساجد.

ويشرف الشيخ عبد الرحمن باي قاضي جمهورية قيرغيزستان على النشاط الإسلامي ويرتبط إدارياً مع الإدارة الدينية لمسلمي ما وراء النهر التي مقرها طاشقند بأوزبكستان ويرأسها الشيخ محمد صادق محمد يوسف.

وأما مقر الإدارة الدينية لقيرغيزيا فهي في مسجد بشكك وهو الجامع الرئيسي في وسط مدينة بشكك... كما يوجد معها المعهد الإسلامي اذي يديره حالياً الأستاذ تيمور باي اورنباي.

المشاهدات

يوم الخميس ١٤١٢/١٠/٢٧ هـ - ١٩٩٢/٤/٣٠ م:
من قازاقستان إلى قيرغيزستان:

كلمة (ستان) التي تكررت في هذين الإسمين معناها: بلاد أو وطن. وهي فارسية دخلت التركية قديماً ونقلت إلى العربية في أسماء الأعلام وليس في الاستعمال، ومن ذلك اسم هذه المنطقة (تركستان) ذكرها ياقوت الحموي في معجم البلدان بهذا اللفظ.

ومن الأسماء المحدثة فيها اسم (باكستان) بمعنى الأرض الطيبة و (هندستان): اسم الهند بلغة أهل تلك الناحية وحتى بلادنا تسمى بلغة الأتراك (سعودي عربستان).

كنا قد سافرنا من مدينة طشقند بالسيارة أمس، وذلك لعدم تيسر السفر بالطائرة فقطعنا من أرض قازاقستان ٥٠٠ كيلو متر، ووصلنا الحدود ما بين قازاقستان وقيرغيزستان في الساعة السادسة والنصف من بعد العصر.

وقد ذكرت قصة هذا السفر بالسيارة في كتاب: «حديث قازاقستان».

الحدود وسط المدينة:

عندما غادرنا بلدة (ميركا) في قازاقستان في السادسة قالوا لنا: إن حدودنا مع قيرغيزستان تقع على بعد ٢٤ كيلو متراً.

لذلك كنت أبحث في بصري وفكري عن الحدود بين الجمهوريتين الشقيقتين ولم يكن سائق السيارة الذي هو الشخص الوحيد الذي يفترض أن يعرف هذه المنطقة، يعرف نقطة الحدود.

ولم أرَ ما يدل على الحدود حتى دخلنا بلدة (قرا بلته) ولم ندرِ أهي قازاقية أم قيرغيزية لأننا لم نرَ أي أثر للحدود.

وفي داخل هذه المدينة والطريق العام الذي جئنا منه هو شارعها العام، لم نشعر إلا بمطب اصطناعي وهو كأصل الجدار من الأسفلت يعترض الطريق لكي يجبر سائق السيارة التي تجتازه على التمهل.

وكان هذا هو الحدود بين قازاقستان وقيرغيزستان، ولم يكن عنده موظفون فضلاً عن أن يكون فيه جنود أو حراس ولم يوقفنا أحد.

وواصلنا سيرنا داخل جمهورية قيرغيزستان ولم نرَ شيئاً تغير عما كان عليه الحال داخل قازاقستان التي كنا فيها من قبل، فطبيعة الأرض لم تتغير وهذا طبيعي، ولكن لم تتغير أيضاً هيئة المنازل ولا ملابس الناس ولا أشكالهم.

والواقع أن ذلك ليس بمستغرب وما مثله الأمثل ما كنا نشاهده إذا غادرنا الحدود السورية إلى لبنان أو العكس فالبلاد واحدة والناس مظهرهم واحد.

على أن الأمر في الجمهوريتين عندما تصل الحياة فيهما إلى

عمقها يختلف عما هو عليه في سوريا ولبنان، فلكل جمهورية لهجة خاصة بها متفرعة من التركية القديمة أسماها المستعمرون الروس لغة، وأكد الشيوعيون ذلك في أذهان أهلها.

ثم إن هناك فوارق أخرى أو لنقل أوجهاً للفرق عديدة بين هاتين الجمهوريتين اللتين كانتا جزءاً من أرض واحدة هي أرض تركستان القديمة، توسعت جمهورية قازاقستان غرباً حتى أطلت على بحر الخزر الذي يسمى الآن (بحر قزوين) وتمددت شمالاً لتشمل ما كان المؤرخون القدماء من أسلافنا العرب والمسلمين يسمونه (دشت قفجاق) والدشت: البرية هو تعبير من التعبير عن الصحراء لأن تلك البرية أو المفازة ليست صحراء قاحلة لا يوجد فيها كلأ أو لا تمسك ماءً انما هي مساحات شاسعة تكون صحراء شهباء من الثلج في الشتاء حتى لا يجد أهلها ما يطعمون فيها ماشيتهم حتى إذا ولى الشتاء ببرده، وجاء الربيع بورده اخضرت بل اهتزت وربت وأنبتت من القمح ما يكفي أهلها ويزيد.

وعندما اضمحل (القفجاق) الذين كانت نسبت إليهم وهم طوائف ممن يلتحقون بالأتراك القدماء وحلت محلهم طوائف من القازاق الرحل سميت (دشت قازاق) أي برية القازاق.

وهذه التسمية حدثت في العصور الوسيطة لأن كلمة (قازاق) نفسها لم تصبح شائعة معروفة لأولئك الأقوام إلاّ في العصور الوسيطة أي منذ منتصف القرن الثامن الهجري.

وتلك البرية القازاقية تمتد حتى تلامس جبال الأورال، في مساحة شاسعة تمتد من الشمال إلي الجنوب حوالي أربعة آلاف كيلو متر.

على حين أن جمهورية (قيرغيزستان) تعد منطقة من مناطق تركستان القديمة، وهي صغيرة نسبياً، كما أن عدد سكانها يبلغ ثلاثة ملايين ونصفاً على حين أن سكان قازاقستان هم سبعة عشر مليوناً. وتعتبر (قيرغيزستان) من أفقر الجمهوريات التركستانية.

وشيء آخر وهو أن القازاق الذين نسبت إليهم جمهورية (قازاقستان) قد أصبحوا أقلية فيها لا تتعدى نسبتهم ٤٠٪ إلى سائر سكانها، والمفزع في الأمر أن نصف السكان أي ٥٠٪ هم من غير المسلمين فهم غرباء، وإن شئت قلت: دخلاء عليها وهم من روس وأوكرانيين وألمان وأرمن وغيرهم من غير المسلمين الذين مكن لهم الروس المستعمرون في تلك البلاد، وثبت الشيوعيون ذلك.

وهناك ١٠٪ من سكانها من المسلمين من غير القازاق أكثرهم من أبناء عمومتهم التركستانيين.

داخل قيرغيزستان:

استمر سير السيارة داخل جمهورية قيرغيزستان، واستمر الغيم الذي كان قد ران على الجو منذ الصباح، وإن كان يتخلله صحو قليل، وكان المطر يسقط رذاذاً، وقد أظلم الجو وصارت السيارة تخوض مناقع صغيرة من المطر في الطريق فتتراقص أمامنا كأنها العذارى النشاوى.

مثلما أننا نشاوى من الفرح لقرب وصولنا إلى (بلاد القيرغيز)، أولئك الإخوة المسلمون الذين حجبهم عنا المستعمرون والملحدون، حتى مضت على ذلك سنون تلتها سنون، فلا حاج منهم يحج، ولا

مسافر من بلادنا يؤذن له أن يراهم في مواطنهم، حتى أذِن الله للستر الغليظة أن تهتك، بل أن تضمحل وتتلاشى كما يتلاشى ظلام الليل أمام نور الصباح.

عاصمة قيرغيزستان:

بعد مسيرة ٨٠ كيلو متراً داخل (قيرغيزسنان) لم نتوقف خلالها وصلنا مدينة (بشكك) عاصمة قيرغيزستان.

و (بشكك) هو اسمها القديم العريق، غيره الروس المستعمرون إلى (فرونزة) عندما احتلوا هذه البلاد على اسم قائد لهم اسمه (فرونز) كانت له يد طولى عندهم فهي يد ظالمة غاشمة عندنا في اخضاع هذه البلاد المسلمة لروسيا فكافؤه على ذلك بأن سموا هذه المدينة باسمه.

واستمر الشيوعيون الروس الذين خلفوهم ومن تعاونوا معهم في الشيوعية من أهل البلاد على تلك التسمية الاستعمارية لهذه المدينة (القيرغيزية) حتى قارب أهلها على الحصول على الاستقلال قبل أقل من عام فأعادوا لها أسمها القديم (بشكك) الذي سيأتي تفسيره فيما بعد بإذن الله.

وصلنا إلى بشكك، في الثامنة إلا ربعاً قبيل المغرب، وكان المطر لا يزال ينزل والجو لا يزال ندياً والوحل يجلل الأراضي غير المزفلتة. ورأينا وجوه سكان المدينة مختلطة ما بين روس ومن لف لفهم من الأوروبيين أو ذوي الأصول الأوروبية وما بين القيرغيزيين ذوي الملامح التركستانية، وإن شئت التعبير العامي عندنا قلنا: من



ضاحية حديثة في بشكك

ذوي الملامح البخارية لأن العامة من بين قومنا في الحجاز يسمون كل أهل تركستان حتى يضموا إليهم أهل خوارزم وبعض أهل خراسان بخاريين.

مع أن بعضهم يبعد موطنه عن مدينة بخارى آلاف الكيلو مترات.

وصلنا فجأة قلب المدينة الجديد فإذا به ذو شوارع مشجرة واسعة وأكثرها مستقيم استقامة، مما يدل على أنه حديث، أو أنه خطط تخطيطاً جيداً في بادىء الأمر.

وقد جللت الأشجار الباسقة وبعضها أشجار ضخمة كل شوارعها التي مررنا بها، والبيوت في هذا القسم من المدينة اسمنتية حديثة متعددة الطوابق.

وقد سرنا نسأل عن جامع (بشكك) الذي تقع فيه الإدارة الدينية لمسلمي قيرغيزستان وهي فرع من الإدارة الدينية لمسلمي ما وراء النهر التي يرأسها صديقنا المفتي الشيخ محمد صادق محمد يوسف، وكان قد هاتفهم وأخبرهم بموعد وصولنا بالسيارة إلى بشكك على وجه التقريب.

دائرة القضاء:

والقصد من الذهاب إلى جامع بشكك هو اللقاء بقاضي (قيرغيزستان) وهو المسؤول عن الشئون الدينية وهذا اصطلاح لهم بأن يسموا المسئول الأول عن الشئون الدينية في هذه الجمهوريات التركستانية المسلمة بالمفتي، ومقره طشقند وهو الشيخ محمد صادق بن محمد يوسف، أما رؤساء الشئون الدينية في الجمهوريات وهم بمثابة النواب له فإنهم يسمون بالقضاة وإن كانوا لا يعتبرون قضاة في الحقيقة، لأن الحكومات تعترف بهم ولكنها لا تساعدهم ولا تمنحهم أية سلطة والواحد منهم قاضٍ في الجمهورية كلها.

فمثلاً قاضي قيرغيزستان هو رئيس الشئون الدينية في جمهورية قيرغيزستان كلها فهو رئيس أئمة المساجد ومدرسي العلوم الدينية على قلتهم.

و (دار القضاء) وهي مكتب القاضي تقع في جامع بشكك لذلك ذهبنا إليه.

جامع بشكك:

كانوا قد أخبرونا أن قاضي (قيرغيزستان) الشيخ عبد الرحمن باي هو مريض ويتعالج الآن في طشقند خارج البلاد، وهو قيرغيزي أصيل، ونائبه الشيخ محمد حبيب الله محمد وهو داغستاني الأصل هو الذي يقوم بالعمل نيابة عنه.

لم نجد النائب الشيخ محمد حبيب الله، وإنما وجدنا في الجامع جمعاً من الإخوة المسلمين العاملين فيه أخبرونا أن الشيخ محمد حبيب الله ذهب يسعى في أمر الحجز لنا في الفندق حسبما كانت الإدارة الدينية في طشقند قد طلبت منه ذلك.

وجدنا في الجامع الشيخ عبد المجيد قاري إمام الجامع ونائبه في الإمامة الشيخ عبد الرحمن قاري والشيخ (تيمورباي أورنباي) مدير المدرسة الإسلامية الملحقة بالجامع وكان (قاضي قيرغيزسنان) سابقاً، وقد التف إليهم غيرهم من الإخوة من كبار السن، ومن طلبة العلم الشبان الذين يدرسون في المدرسة ويسكنون في غرف ملحقة بالجامع.

والمسجد واسع الأبهاء، دخلت سياراتنا إلى فنائه، وفيه أبنية عديدة أكثرها غرف تستعمل للأغراض المتعلقة بالمسجد وأماكن للوضوء عديدة فيها مياه حارة جارية.

وقد حدثونا عن هذا الجامع أنه الجامع الوحيد الذي سلم من طغيان الشيوعيين فاستمر مفتوحاً للمصلين طيلة العهد الشيوعي البائر.

قالوا: وكان في مدينة (بشكك) قبل الحكم الشيوعي عشرة مساجد صادرها الشيوعيون كلها لم يبقوا منها إلا واحداً هو هذا، ولهذا يعرف بجامع بشكك لأنه ظل لسنوات طويلة الجامع الوحيد فيها،

قالوا: وأما الآن فإن هناك خمسة مساجد جديدة في العاصمة، بعضها لم يكتمل بناؤه بعد.

ولا شك بأن هذا عدد قليل جداً بالنسبة إلي كثرة المسلمين وحاجتهم إلى التعليم الإسلامي لصغارهم والإرشاد والتوجيه لكبارهم.

ولكن الإخوة المسلمين في هذه الجمهورية كإخوانهم المسلمين في الجمهوريات الأخرى كالمريض الذي خرج من مرض أذهب صحته وأنهك قواه فهو يحتاج إلى دواء وغذاء.

والحكومات الموجودة الآن في بلادهم هي حكومات من العهد الشيوعي السابق الذي لا يرى أن عليه أن يساعد على الأمور الدينية، وإنما مساعدته لها أن يكف عنها أذاه، على حد قول أبي الطيب المتنبي.

وقد كفوا أذاهم عن المسلمين بالفعل، إلا فيما يتعلق بكونهم ظلوا يستأثرون بالحكم عندهم.

كما أنهم صاروا يعيدون المساجد التي سبق أن صادرها أسلافهم من رجال الحكومات الشيوعية السابقة، وصاروا يسرعون إلى منح الأراضي الحكومية لمن يريدون أن يبنوا عليها مساجد، وكان الأولى بهم أن يقوموا هم بتعمير المساجد للمسلمين لأنهم أولاً هم ولاة الأمور، وثانياً لكون المساجد قد خربتها الحكومات الشيوعية السابقة الذين هم ورثتها. فيكون عليهم واجب التعويض عنها.

ثم حدثونا عن بناء هذا المسجد بأن أصله مسجد قديم صغير قيل إن أول تاريخه يعود إلى ١٦٠ سنة، ولكنه جُدِدَ ووُسِع حتى صار على ما هو عليه الآن منذ ٤٠ سنة.

والأمر السار الذي ذكروه لنا ولم أكتفِ بذكر ذلك مرة واحدة، بل طلبت منهم أن يعيدوه عليَّ وهو أن عدد المصلين فيه يوم الجمعة يزيد عن أربعة آلاف وقد يصل إلي خمسة آلاف مصلٍ، وقد ذكر لي هذا أكثر من واحد منهم.

هذا والحديث بيننا كان بالعربية التي يحسنها أكثر الحاضرين من طلبة العلم وأئمة المساجد منهم، ومنهم الشيخ (تيمور باي) الذي درس في القاهرة بعد أن كان تعلم في معهد الإمام البخاري في طشقند.

كما أن زميلنا في الوفد الأخ (رحمة الله بن عناية الله) يعرف لغتهم ويتحدث معهم بها إذا احتاج الأمر إلى الترجمة.

وذكروا أن المدرسة الإسلامية تضم مائة وخمسين طالباً وتشغل بناءً جديداً من طابقين أشاروا إليه في الجهة الجنوبية من المسجد، وقد بنوها في العام الماضي بعد سقوط الشيوعية. ونوهوا بأن حكومتهم لا تزال حكومة شيوعية لا تناصر الدين.

وقد تكررت عندهم عادة متبعة في هذه البلاد عند اللقاء وهي الدعاء برفع الأيدي بعد السلام المعتاد الذي يكون احتضاناً أو كالاحتضان في أكثر الأحيان.

وحتى إذا ما حضر منهم حاضر أثناء الحديث فإنه يبدأ بالسلام وهو المصافحة والاحتضان ثم الدعاء برفع الأيدي والهمهمة من دون أن يفهم أحد ما يقال من الدعاء لأنهم لا يجهرون به، وهو دعاء رمزي قصير يتضمن رفع الأيدي ثم مسح الوجه بالكفين بعده.

هذا وقد صلينا معهم صلاة المغرب وجمعنا معها العشاء فانتهينا

منها وهم لا يزالون في الأدعية التي تقال بعد الصلاة وكان عدد الصفوف فيه ثلاثة.

[illegible] الفندق

الفندق في البلدان المعتادة لا يكون في السكنى فيه ما يستحق الذكر، غير أن الأمر في البلدان الشيوعية السابقة مختلف، فأجور الفنادق فيها ليست واحدة للجميع، بل تختلف باختلاف دافع الأجرة، فإذا كان دافع الأجرة مواطناً كانت الأجرة له قليلة جداً، بل إننا وأمثالنا نعتبرها أجرة رمزية وذلك لانخفاض الأجور عندهم وتدني مستوى الدخل إلى درجة لا تصدق حتى إن أجر العامل الزراعي لا يتعدى في الشهر ما يعادل أربعة دولارات أمريكية، والمدرس في مدرسة دينية راتبه ستة دولارات.

وهذا بالطبع ما يصرف به الدولار الأمريكي من الروبلات الروسية في الوقت الحاضر، و (الروبل) لا يزال هو العملة السائدة عندهم.

أما إذا كان دافع الأجرة أجنبياً فإنهم لا يقبلون منه الدفع إلا بالدولار الأمريكي وفق سعر كانوا قد حددوه قبل انهيار سعر الروبل، والفرق كبير جداً بين السعرين.

ولذلك يلجأ من له صلة بمن لهم صفة رسمية معترف بها إلى أن تتقدم تلك الجهة إلى استضافته أي اعتباره ضيفاً عليها، وتشعر الفندق بذلك وتدفع الأجرة إليه من حسابها في البنك بالروبل الروسي.

وفي حالتنا نحن كنا قادمين من سفر بالسيارة بدأ مع طلوع الفجر

وبحاجة إلى راحة في الفندق، ولم يكن لدى الموجودين معنا منهم خبرة في التعامل بهذه الطريقة، فاتصلوا هاتفياً بالفندق بعد أن أخبرونا أن أحد الفندقين المخصصين لسكنى الأجانب معطل، وقد رد عليهم الفندق بأننا من الأجانب الذين يجب أن يدفعوا الأجرة بالدولار وهي عشرة دولارات لكل شخص، فقلنا: هذا مناسب فليحجزوا لنا ثلاث غرف وسوف نقدم حالاً إليهم فأخبرونا أن على كل واحد أن يدفع ثلاثين دولاراً لأنهم كانوا يظنون أننا سنسكن ثلاثتنا في غرفة واحدة.

ونزلنا في الفندق واسمه (فندق بشكك) على اسم العاصمة وهو كبير واسع ذكروا أنه كان موجوداً قبل الشيوعية، ولكنه شبه مهمل الآن من الترميم شأنه في ذلك شأن كثير من المؤسسات، فمثلاً باب الحمام الداخلي في الغرفة لا يغلق، ومعنى ذلك أنه يظل كأنه مفتوح وليس المراد مجرد أنه ليس له قفل.

والمرآة التي على حوض غسل الأيدي هي أعلى من مستوى وجه الإنسان، وأكثر الأثاث وهو خشبي يحتاج إلى عناية وهو قديم.

ومع ذلك فإن غرفه واسعة، وكل غرفة فيها ٣ أسرة وخزانة خشبية خربة.

مشكلة الغذاء

أول ما يواجهك به الإخوة الملتزمون في هذه البلاد هي الطعام الحلال، وهم يقولون إن طعام الفندق لا يوثق بحله، وبخاصة أن أكثر العاملين فيه هم من الروس او ذوي الأصول الأوروبية، وفي فندقنا هذا وجدنا أن كل طابق فيه له مشرفة وهي امرأة روسية في النصف الثاني

من عمرها كالعادة، ويجب أن يتسلم النزيل مفتاح الغرفة منها ويعيد المفتاح إليها، وبالنسبة للعشاء تكفل أحد الإخوة بإرسال طعام من بيته، ولم نطلب منه ذلك إلا أنه عرضه وأكده فقبلنا ذلك شاكرين.

ثم أحضر الطعام وأخبرنا أنه أجل ذبح الذبيحة إلى غداء الغد أو عشائه وإنما أحضر الليلة ما دون ذلك وهو الخبز والبيض والعسل واللبن الطازج والقشطة وحصار من البصل الطري والطماطم.

واسم الأخ عبد القادر عيسى وهو كاتب وأديب متقاعد الآن.

ثم جاء الشيخ محمد حبيب الله نائب قاضي قيرغيزستان إلى الفندق وبقينا في سهرة عمل حول برنامج زيارتنا لهذه الجمهورية، ومن ذلك زيارة منطقة (أوش) التي يشتهر أهلها بتمسكهم بدينهم، ولكن المشكلة في عدم انتظام السفر بالجو، ذكروا أن ذلك بسبب شح الوقود للطائرات حيث تلغى بعض الرحلات في آخر لحظة عندما لا يستطيع المسئولون إيجاد الوقود اللازم لها.

أصبحنا على جو عابس من سماء مظلمة وريح باردة ومطر يتساقط ليزيد أوحال الطريق وطين الشوارع، مما لم نعهد له مثيلاً في برده حتى في أبرد أيام الشتاء في الرياض.

وقد نفعنا الله بجباب ـ جمع جبة ـ كان الشيخ (شكر الله بن محمد سلطان، صاحب (تشيم كنت) في قازاقستان قد أهداها إلينا فعوضنا الله بها عن الثياب الثقيلة التي كنا نأخذها إذا سافرنا في الشتاء وتركناها في بلادنا ثقة منا بأن البرد قد ولى في هذه البلاد، ولكن كأنما كان هذا اليوم قد جاء ليثبت خطأ ما تخيلناه.

هذا وقد حضر إلينا في الفندق عدد من الإخوة المشايخ ومنهم محمد حبيب الله وعبد المجيد قاري، و (تيمور باي) الذي كنت أقول له: أنت تيمور بدون (لنك)، ولنك معناها: الأعرج وذلك لقب (تيمورلنَك) الشهير فيبادر بقوله: لنك هي الأعرج باللغة الفارسية، وليست من لغتنا القيرغيزية.

ومع بعضهم سياراتهم التي هي من طراز (لادا) المصنوع في

روسيا وأصلها (فيات) الإيطالية قد حَسن الصناع الروس من مخبرها دون مظهرها فحجمها بقي على ما كانت عليه (فيات) القديمة، لكنها زادت قوة ومتانة لكي تصبر على مقارعة طرقهم الرديئة، وشيء آخر أضافوه إليها وهو التدفئة بالنظر إلى شدة البرد في البلاد الروسية وما ألحق بها من بلاد المسلمين.

وفي التاسعة كنا نخترق شوارع مدينة بشكك الواسعة الغارقة في الأشجار والمطر ينزل.

ومما يثير الاشمئزاز فيها أن صورة (لينين) قائد الشيوعيين إلى تطبيق الشيوعية لا تزال موجودة في بعض شوارع المدينة الرئيسية بأحجام مكبرة، ولم تجد من يتبرع من المسلمين بإزالتها إذا كان الحكام غير مبالين بذلك مع أن عهد الحكم الروسي قد ولى الأدبار، وأصاب أهله حتى في بلادهم الخسران والبوار.

كان الإفطار في التاسعة والنصف في بيت أحد الإخوة المسلمين، واسمه عبد القادر كريم وهو من الأدباء في هذه البلاد فكان طعاماً تركستانياً سخياً، كان من أهم ما أعجبنا فيه ذلك العسل الوطني الخالي من الغش ويسمونه الجبلي وكنا قد طعمنا منه أمس وعلى المائدة أنواع من الفواكه المجففة منها التين والزبيب وكذلك النقل وهو ما نسميه بالمكسرت ومن ذلك الفستق واللوز، وهناك اللبن والقشدة (القشطة) وسلطة خضراء مهمة عندهم في الوقت الحاضر لأنها غير متوفرة الآن وهي الطماطم والخيار والبصل الأخضر إذْ بلادهم باردة لا تنمو فيها هذه الخضروات في مثل هذا الوقت إلا محمية في بيوت زجاجية أو من اللدائن وذلك أمر مكلف في بلاد كبلادهم وكان الخبز ثم الشاي.

وقبيل الانصراف جاء اللحم وتبين أن صاحبنا قد ذبح ذبيحة بالفعل وهذا من مقدماتها.

عدد المسلمين في قيرغيزيا:

حضر المائدة أحد أبناء المسلمين الأعضاء في البرلمان واسمه (نورمحمد كنجي) وهو شاب مثقف اغتنمت فرصة وجوده فسألته عن بعض الأشياء المهمة في هذه البلاد، ومنها نسبة المسلمين بين السكان، وهذا أمر فيه غرابة أن يسأل سائل عن نسبة المسلمين في بلاد عريقة في الإسلام قد استوطنها الإسلام منذ ثلاثة عشر قرناً ولكن للسؤال ما يبرره وهو أن الروس المستعمرين القياصرة ثم خلفاءهم الشيوعيين قد هجروا إلي هذه البلاد المسلمة أعداداً من غير المسلمين ومنهم أناس نقلوا بالقوة عن أوطانهم الأصلية مثل الألمان الذين كانوا يسكنون في بولندا وما قرب منها واتهمهم الروس بأنهم ساندوا الألمان الهتلريين إبان الحرب العالمية الثانية نكاية منهم بالألمان فيما يظهرونه وإغراقاً لبلاد المسلمين بأناس ذوي أعراق مختلفة، وأديان مغايرة، حتى وصل الحد بجمهورية قازاقستان أن أصبح القازاق فيها أقلية في بلادهم كما تقدم.

أما في قيرغيزستان هذه فإن الأمر لم يصل إلى هذا الحد، لذلك سألت عضو البرلمان الذي يفترض أنه يطلع على إحصاءات وأمور إدارية لا يطلع عليها سائر الناس فقال:

تبلغ نسبة المسلمين في قيرغيزيا ٦٠٪، أما الأربعون في المائة الباقون فإنهم من غير المسلمين، وقد ذكر أن عدد أعضاء البرلمان هو ٣٥٠ عضواً من جميع فئات السكان وقومياتهم من القيرغيز والروس

والأوزبك والأويغور والترك والداغستانيين كما ذكر اهتمام حكومة هذه البلاد بعد الاستقلال ببعض المظاهر الإسلامية مثل افتتاح الإذاعة بالأذان، ولو لم يكن الوقت وقت صلاة مفروضة.

وأجمع الحاضرون وكلهم من المثقفين على أن المراد بغير المسلمين غير (القيزغزيين) لأنه لا توجد أعداد من القيرغيزيين غير مسلمين، وإنما تعني كلمة (قيرغيزي) كلمة مسلم مثلما أن كلمة (قازاقي) تدل على المسلم لأنه لا يوجد قازاق غير مسلمين، إلا إذا كان ذلك من أفراد غير معروفين فالنادر لا حكم له ولا يقاس عليه كما يقول الأصوليون.

ومما يجدر التذكير به أن عدد سكان قيرغيزيا يبلغ ثلاثة ملايين ونصفاً، منهم سبعمائة ألف في العاصمة بشكك.

كما أجمعوا على أن غير المسلمين بدأوا الآن في التفكير في مغادرة البلاد، وإن كان يحد من ذلك أن الحالة في بلادهم الأصلية كروسيا وأكرانيا هي أسوأ من الناحية الاقتصادية من هذه البلاد، كما أن حاجة البلاد المسلمة في هده المنطقة إلى الفنيين والخبراء منهم تجعل المسلمين يتوددون إليهم، ولا يوجهون ضغوطاً عليهم، وقال عضو البرلمان: إن البرلمانيين كانوا في السابق كلهم من غير المتدينين، بل من الشيوعيين، وهم يظهرون ذلك وإن كانوا في قرارة أنفسهم لا يؤمنون به. حتى إن الواحد منهم يتجنب أن يذكر اسم الله، ولو بمجرد اللفظ لأنهم يخافون من بطش السلطات الشيوعية، وأما الآن فإن الشيوعيين يتوقون إلي الديمقراطية والعودة إلى الدين.

تطرق الحديث بعد ذلك إلى الوضع الراهن في هذه البلاد فقال

عضو البرلمان: إن البلاد تجتاز مرحلة انتقالية، ومعظم الموظفين يسيرون على أعمال تقليدية.

جولة في مدينة بشكك:

اختلف في اسمها على قولين: بعد الاتفاق على أنه اسم وطني (قيرغيزي) أصيل.

أحدهما: أن (البشكك) بلغة القيرغيز هو أداة لخلط لبن الخيل وتحركيه بها. وكان القيرغيز آنذاك أي عند تسمية المدينة بدوا رحلاً، ولا نقول: أعراباً رحلاً، لأن الأعراب هم أهل البدو من العرب، وأما البدو من غيرهم فإنهم الرعاة المتنقلون بماشيتهم ابتغاء الكلأ.

قالوا: فنزل قوم منهم مكان مدينة (بشكك) هذه، ونسيت أسرة منهم الأداة التي يخلط بها لبن الخيل، وكانوا إلى الآن يحبون ألبان الخيل ويأكلون لحومها. فكان أن أعلنت فيهم أنها نسيت (البشكك) في مكان كذا بعد أن ارتحلوا منه.

قالوا: ولم يكن من السهل أن يذهب فرد أو أفراد لإحضاره فذهب جماعة منهم على الخيل يبحثون عنه حتى وجدوه في هذا المكان ومن ثم سمي المكان (بشكك) وسميت المدينة التي نشأت فيه بشكك.

الثاني: أن (بشكك) هو اسم بطل اسطوري كان موجوداً عند القيرغيزيين قبل إسلامهم وكانوا يتناقلون أخبار بطولته الخارقة ويحيطون ذلك بالمبالغة، شأن الأساطير القديمة، وبه سميت هذه البلدة منذ القديم (بشكك).

ويبلغ سكانها (٧٠٠) ألف نسمة ـ كما تقدم ـ بينهم عدد كبير من ذوي الأصول الأوروبية لم أجد من استطاع أن يحدده لي منهم، وإن سمعت أنه يكاد يعادل نصف السكان.

وذلك ظاهر لمن يجول في المدينة، بل لمجرد أن يزورها أو يمر بها، فوجود الأجانب ظاهر فيها، وإن كانوا ـ من الناحية القانونية ـ يعتبرون الآن من المواطنين.

وربما لم يفهم الإخوة المرافقون من أهل البلاد مانرمي إليه من جولتنا السريعة في المدينة التي كنا نحب أن نودعها قبل السفر إلى منطقة (أوش) ومن ثم العودة إلى بشكك ثانية.

كان مرورنا من عند محطة لتوليد الكهرباء في ضاحية حديثة من المدينة هي ذات مداخن عالية تنفث الدخان يشبه منظرها منظر المآذن العالية على البعد، وكأنما أراد الشيوعيون الملحدون بهذه المدخن الإستعاضة عن مآذن المساجد التي هدموها. وبئسما فعلوا إن كانوا أرادوا ذلك، لأن للمسجد وظيفة غير وظيفة المصنع ولا تنافي بينهما في الوجود، وإذا كانوا يريدون دليلاً ملموساً على ذلك فإنهم سيجدونه في البلدان الغربية الرأسمالية التي سبقتهم في ميدان العلم والمعرفة، ولم تجد تنافياً بين أبراج المعابد، وبين مداخن المصانع فيها.

ومررنا بشارع (موسكوفيتش) يعني (شارع موسكو) في داخل المدينة، ولم نتمهل فيه، وإنما واصلنا سيرنا إلى شارع (قوقول) وهو كاتب تتاري مشهور.

ثم تجولنا في أماكن عديدة من المدينة، وكلها تؤكد أنها مدينة جميلة ذات شوارع فسيحة خالية من الجسور أو الإنفاق، ولم أر فيها إلا نفقاً واحداً قصيراً.



شارع في بشكك [illegible]

وأكثر ما فيها التشجير، وفيها حدائق عدة مررنا بها، ولم نقف لأن المطر كان ينزل، ونحن على عجلة من أمرنا.

والحدائق في مدن (ما وراء النهر) كثيرة ولكنها هنا تكاد تكون غابات من الأشجار الخضر النضرة التي تطاول عنان السماء من دون أن تكون هناك عناية ظاهرة بالتزهير أي غرس الزهور في الحدائق، وتكون أرضها مكسوة بالحشائش النضرة أيضاً.

ثم عدنا إلى الفندق ودفعنا له الأجر بالروبل حيث قبلت منا ذلك

موظفة مسلمة في الاستقبال، وكنا تعارفنا مع عضو آخر من أعضاء البرلمان رأيناه في الفندق، فربما كان أوعز إليهم بذلك.

وكانت الأجرة بالرويل (٣٥٠) روبلاً للغرفة الواحدة في الليلة الواحدة ويساوي ذلك نحو دولارين وربع بدلاً من الدولارات الثلاثين، التي كانوا قد طلبوها منا قبل أن يسكنونا في الفندق البارحة.

في مطار بشكك:

يبعد المطار عن قلب المدينة (٣٧) كيلو متراً.

خرجنا بسرعة من المدينة ووقعنا في ريف خالص بين المدينة والمطار، معظم الخضرة فيه حقول من حقول القمح الذي يزرعون منه مقادير جيدة، ولكنها لا تكفيهم فيضطرون الى استيراد بقية ما يحتاجونه منه من الخارج.

ولا شك في أنهم لو تيسرت لهم الآلات الزراعية الحديثة، ورساميل المال الخاصة، فإن انتاجهم من القمح سوف يتضاعف، ويكفي لكل ما يحتاجونه منه.

كما رأينا في الريف قطيعاً من الأغنام ترعى في أعشاب الربيع، وأغنامهم تشبه الأغنام النعيمية التي تعيش في العراق فهي كبيرة، وذات صوف كث.

وشعب القيرغيز في أصله شعب محب لرعي الماشية، وإن كانت تغيرت طبيعة الذين سكنوا القرى والمدن منه فإنه لا تزال طوائف منهم يعتبرون من مربي الماشية ولذلك أيضاً كان لديهم ما يكفي من الأغنام ولا يستوردون منها شيئاً.



شارع في ضواحي بشكك

وصلنا المطار في الثانية عشرة ظهراً وأجلسونا بقاعة كبار الزوار المسماة بصالون الشرف وهي قاعة جيدة حديثة التأثيث فيها صورة كبيرة للكرملين في موسكو، وصور ومناظر غير كبيرة لأجزاء جبلية من بلادهم، ومعلوم أن الجبال تؤلف جانباً مهماً من هذه البلاد، وفيها خزانة كل ما فيها يتحدث عن مؤسسة الطيران السوفيتية السابقة (ايروفلوت) من نشرات وكتيبات ونماذج لبعض الطائرات.

ولا تزال الطائرات المستعملة في جمهوريات (ما وراء النهر)

المسلمة هي طائرات هذه الشركة ولم تغير الكتابة التي عليها رغم استقلالها لأنها لم تستطع أن تكون لها حتى الآن مقومات الاستقلال الاقتصادي، ولا تستطيع ذلك إلا بعد حين.

ومن الغريب في هذا الأمر أن توقيت مواعيد قيام الطائرات ووصولها يسير حسب توقيت موسكو، لذلك لا بد من حساب فارق التوقيت عند معرفة ذلك وإذا كان الشخص غريباً أو لم يسبق له معرفة هذه الأمور فإنه يرتبك، وقد يفوته بعض ما يريده.

ومنطقة (أوش) هي منطقة من جمهورية (قيرغيزستان) تبعد عن العاصمة بحوالي ٦٠٠ كيلو مترا وتجاور وادي (فرغانة) الشهير الواقع معظمه في جمهورية أوزبكستان.

وأهل (أوش) مثل أهل فرغانة مشهورون بالتمسك بالدين الإسلامي الحنيف والحرص على تحصيل العلوم الدينية، ولذلك نهضوا لبناء مساجد جديدة، وترميم المساجد القديمة، وهذا ما دعانا إلى زيارتها.

وسيصحبنا في زيارتنا الشيخ محمد حبيب الله نائب قاضي قيرغيزستان.

الجــلاء:

قال الشيخ محمد حبيب الله وهو يشير إلى مكان قريب من المطار: هنا قريتي، إنها قرية الداغستانيين وهو يؤكد بذلك ما سمعناه عنه قبل ذلك من كونه من الداغستانيين وليس من (القيرغيزيين) أهل البلاد الأصلاء، وذلك ظاهر من تقاسيم وجهه ومن طول قامته.

قال الشيخ محمد حبيب الله بن محمد: لقد أمر طاغية الشيوعية السابق (ستالين) بإجلائنا نحن الداغستانيين وإبعادنا من وطننا (داغستان) إلى هذه البلاد القيرغيزية لكوننا لم نقبل الشيوعية وأظهرنا مقاومة لها.

قال: وكان عددنا خمسين أسرة أرسلنا الشيوعيون بالقطارات، ورمونا رمياً في هذه البلاد، ولم نكن نملك شيئاً يجعلنا نؤسس بيوتنا، أو نملك ما يكفينا من ضرورات الحياة، وكان وصولنا في شهر اكتوبر عام ١٩٣٦، ويقصد بذلك وصول أهله وإلا فإنه لم يكن قد ولد في ذلك التاريخ.

قال: فاستقر أهلنا في هذا المكان الذي كان برية منعزلة، لأن المطار لم يكن قد انشىء من قبل، واسم قريتنا الآن (دوست تيجني) بمعنى شرق تيجني.

قال: ولم يكن في المكان إلا بناء واحد واسع، تقاسمه أهلنا فيما بينهم بأن أقاموا حواجز فيه وسكنوه.

قال: وكانوا أحضروا بعض الأشياء من داغستان مما كان لهم كالأقمشة لأنهم كانوا من أولاد الأغنياء في بلادهم قبل الشيوعية.

قال: ثم عملوا عند الحكومة جبراً كسائر الناس وصارت حياتهم طبيعية واتسعت القرية وتناسلوا، وكانت أعمالهم في الزراعة وكان الشيوعيون يفتشون على من لا يريد العمل منهم فيجبرونهم على ذلك، وكانوا حريصين على تعلم اللغة العربية والدين الإسلامي، ولذلك نجد أن الشيخ محمد حبيب الله يعرف العربية جيداً.

قال: وقد بقوا هنا دون أن يرخص لأحد منهم بزيارة بلادهم

وأقاربهم في داغستان حتى عام ١٩٥٦ م، حيث سمحوا لهم بذلك مع بُعد داغستان عن هذه المنطقة.

وداغستان واقعة في جبال القوقاز التي كان أسلافنا العرب يسمونها جبال قبج أو قبق، وقد أوضحت أمرها في كتابي: «بلاد الداغستان» وهو كتاب مطبوع.

من بشكك إلى أوش:

أكرمونا بأن جعلونا نصعد إلى الطائرة قبل الركاب، وأخبرونا أن مقدمتها أكثر راحة من مؤخرتها، قالت ذلك مضيفة أرضية خرجت معنا.

والطائرة من طراز (ياك) ٤٠ تحمل ٣٧ راكباً فهي صغيرة رغم كونها نفاثة.

وليس فيها مكبر للصوت وإنما وقفت المضيفة أمام الركاب وحدثتهم من دون مكبر فذكرت نوع الطائرة وأن الطيران الى (أوش) سوف يستغرق خمسين دقيقة.

وغادرنا مطار (بشكك) في الواحدة والثلث ظهراً، وعندما نهضت الطائرة تجلت مناظر الحقول الواسعة الخضر التي أكثرها من القمح إلى جانب أعشاب الربيع الخضراء.

ورأينا سداً على مجمع لوديان تسيل إذا جاء المطر.

نهر تشو:

ثم صرنا نطير قرب نهر تشو الذي لا يمر بمدينة بشكك نفسها

وإنما يدعها على بعد ٣٣ كيلو متراً وقد مدت منه قناة إلى المدينة.

ونهر (تشو) ليس كبيراً ولكنه مهم في هذه المنطقة وينبع من الجبال التي تفصل بين قيرغيزيا والصين، ثم يسير حتى ينقطع في براري قازاقستان التي قد يسميها بعضهم صحراء القازاق، وذلك بعد أن يستفاد من أكثر مياهه.

ثم دخلت الطائرة في لجة من الغيم المطبق أجبرتني على أن أحصر بصري في داخل الطائرة فكان من الأشياء التي استوقفت النظر أن أطفالاً ركبوا معنا بدون مقعد، أي إنهم كانوا واقفين أو حتى جالسين أمام ذويهم، وأحياناً كانوا يستندون إليهم.

وطبيعي أنهم لم يربطوا بأحزمة الطائرة لأنها في المقاعد خاصة.

وصادفنا صحفية من بنات المسلمين كانت بقرب مرافقنا الشيخ محمد حبيب الله نائب قاضي قيرغيزستان واسترعت ملابسنا العربية انتباهها واسمها (سليمة بن شريفة) وهي تنشر مقالاتها في جريدة (أوش سعادة) وينبغي أن يلاحظ المرء أن الأسماء لها ولجريدتها عربية، وذكرت أنها تكتب بالقيرغيزية والروسية.

وقد اغتنمت هذه الفرصة فسألتنا عن أشياء مهمة تتعلق برابطة العالم الإسلامي عندما أخبرها الشيخ محمد حبيب الله أننا نعمل فيها، كما سألت عن أشياء تتعلق بالدين الإسلامي، ووجدناها مثل غيرها من أبناء المسلمين وبناتهم في هذه البلاد الذين تعلموا تعليماً عصرياً ولم يعرفوا شيئاً عن الدين الإسلامي فهم في شوق الى أية معلومات عنه، وعن أثره في حياة الفرد والمجتمع، كما سألت عن عمل المرأة في بلادنا وكيف تستطيع أن تجمع بينه وبين واجباتها في المنزل. وعن عدد

الأولاد في الأسرة السعودية، فأخبرناها بأن المرأة تعمل في الميادين المناسبة لطبيعتها مثل التدريس والتمريض، وأما الأولاد فإن الدولة تتكفل بتعليمهم بالمجان.

ثم تجاوزنا منطقة السحاب الكثيف وأسفر المنظر عن جبال عالية تجلل هاماتها الثلوج الكثيفة وهذه الجبال الثالجة يمكن وصفها بأنها مستودعات مائية يتحلب منها الثلجُ إذا صهرته حرارة الصيف فيغذي أرضهم ببعض ما تحتاجه من الماء، وإن كانوا ذكروا أن بعض هذه القمم الثلجية يبقى ثلجها عليها حتى في الصيف، وبذلك يمكن وصفه بأنه من الثلج الأزلي أي الذي لا يزول من مكانه، وإنما يركبه ثلج غيره في كل عام.

ثم وصلت الطائرة إلى قرب هدفها وهو مدينة أوش فصارت تطير فوق طرف (وادي فرغانة) الخصيب الذي فتحه قتيبة بن مسلم الباهلي، واعتبر في القرن الثالث الهجري وما قبله أقصى حدود البلدان الإسلامية من تلك الجهة، كما قال بديع الزمان الهمذاني قولته الشهيرة: إنك لو جبت ما بين غانة إلى (فرغانة) لما وجدت مثيلاً له...

وغانة واقعة في غربي إفريقية بين موريتانيا والسنغال في الوقت الحاضر.

وقد تعدى سلطان الإسلام بعد ذلك وادي فرغانة هذا حتى وصل إلى سيبيريا التي أسقط الروس حكومتها المسلمة التي كان مقرها في مدينة (سيبير) في ١٥ رمضان عام ٩٨٩ هـ.

وننوّه الإخوة هنا بأن قبر قتيبة بن مسلم فاتح بلاد ما وراء النهر

موجود الآن في وادي فرغانة في قرية تسمي (جلال قودق) وأنه معروف بذلك.

وكنت زرت وادي (فرغانة) هذا منذ سنتين، وكتبت مشاهداتي فيه في كتاب «يوميات آسيا الوسطى».

ثم تدنت الطائرة وهي تهم بالهبوط فوق ولاية (أوش) الخضراء الخصبة التي نلاحظ مع ذلك أن قطعاً من أرضها خالية من الخضرة فذكروا لنا أنها مخصصة لزراعة القطن الذي بذروه الآن ولم يخضر بعد.

في مطار أوش:

هبطت الطائرة في مطار (أوش) الساعة الثانية والربع ظهراً بعد أن أتمت ٥٥ دقيقة من الطيران وليس ٥٠ دقيقة كما قالوا.

والمطار صغير تحف بمدارجه أعشاب ربيعية غير كثيفة، وقد ازهرت بزهور برية بيض ولكن بياضها ليس ناصعاً، وجاء الخيال ليقول: إن ذلك كدين أهل البلاد في الوقت الحاضر الذي تراكم عليه من إلحاد الشيوعية ما أذهب نصوعه وإن لم يذهب بياضه.

وفي المطار طائرات عديدة تبدو واقفة من دون استعمال، وقيل لنا: إن ذلك بسبب نقص الوقود لأن البلاد ليس لديها من (النفط) ما يكفي بل لا توجد إلا بئر نفطية واحدة منتجة.

ويسأل المرء الذي ليست له خبرة بهذه الأمور عن كونهم لم يشتروا (النفط) من الخارج مثلما يفعل غيرهم في البلدان الحرة في اقتصادها. والسبب في ذلك هو عدم قدرتهم على توفير العملات

الأجنبية القابلة للتحويل أي التي يقبل بها باعة النفط.

لم نجد أحداً في اسقبالنا بالمطار وتبين أن القوم كانوا قد جاؤوا لاستقبالنا ثم ذهبوا لصلاة الجمعة، فلبثنا فترة في جانب من الفناء المكشوف الذي ينتهي إليه القادمون من دون أن يمروا بمبنى المطار، ثم جاء الإخوة المستقبلون بعد ذلك على رأسهم الأخ (صاحب جان عبد الواحد) رئيس أئمة المساجد في ولاية (أوش).

وجاءت طائرة من إحدى المدن التي يسكنها قيرغيزيون أُصلاء وهم مثلنا لم يمروا بمبنى المطار وإنما خرجوا من مساحة وقوف الطائرة إلى خارج المطار مما يلي البلد، فلاحظنا أن الركاب وهم من القيرغيزيين الأصلاء - كما قدمت - هم وسط ما بين الأوزبكيين وبين القازاقيين فالتقاسيم الظاهرة في وجوههم أبعد عن التقاسيم الظاهرة في وجوه الأزبكيين من الجنس العربي وأقرب إليه من القازاقيين الذين هم في أشكالهم أقرب إلى المغول منهم إلى العرب.

ولا أراني بحاجة إلى الإشارة إلى بعض تلك الملامح والتقاسيم لأن ذلك ظاهر لمن يعرفها في المغول، ولكنني أقول لمن لا يتصور مظهر المغول: إن أهمها ضيق العينين، وبروز الوجنتين، وتطامن الأنف، وتسطيح الوجه مع استدارته أو ميله إلى الاستدارة، أما الألوان فإنها البياض المخلوط بصفرة تشبه صفرة الصينيين والتايلنديين ولكنها أقل من ذلك. والغالب على سكان المدن منهم الذين سلموا من قشف البرد وشدة الحر في الصيف الجمال إلا في عين من لا يرى الجمال إلا في التقاسيم المتناسبة في الوجوه تناسبها في ملامح العرب والأوروبيين.

ومما تنبغي ملاحظته أن سكان (أوش) ليسوا كلهم من القيرغيزيين الأصلاء رغم كونها من جمهورية قيرغيزيا وإنما يساكنهم فيها جماعات من بني عمومتهم من الأوزبك والايغور الذين هم من سكان تركستان الشرقية.

(أوش) اسم على المدينة التي هي عاصمة الولاية وهو - أيضاً - اسم على الولاية كلها.

ويبعد المطار عن قلب المدينة ١٤ كلم، والطريق إلى المدينة يشق ريفاً أخضر بسبب خضرة الأعشاب في الربيع، وبسبب خضرة الأرض المزروعة، كما أنهم غرسوا أشجاراً خضراً على الطريق، أكثرها من أشجار التوت الذي تربى عليه دودة القز، وهو من اتجاهين أحدهما للذاهب إلى المدينة والثاني للآيب منها، إلا أنه ضيق والجو دافىء الآن بالنسبة إلى ما كان عليه في بشكك.

ومن الغريب أن طريق المطار إلى المدينة خالٍ من المنازل فليس فيه منازل على جانبيه أو حتى بعيدة عنه، وهذا أمر عرفناه من أكثر المدن في البلدان الشيوعية، أي التي كانت شيوعية، وذلك لانعدام المبادرة الفردية التي ينتج عنها أن يقيم الأفراد منازل لهم خاصة بهم.

وإنما العادة في المدن الكبيرة أن تكون مثل هذه الطريق القريبة من المدينة عليها أبنية كبيرة متعددة الطوابق (عمارات) تكون شققاً سكنية، تؤجرها الدولة للمواطنين الذين لا منازل لهم بأجور زهيدة.

ثم وصلنا فجأة إلى المدينة، ورأينا في مدخلها نصباً ضخماً

عليه شعار الشيوعية الذي هو المنجل والمطرقة، ولا شك في أن إزالته تحتاج إلى آلات قوية كالجرافات، لأنه مُقام من الإسمنت المسلح القوي، ولا أدري لِمَ لم يغيروه.

كما رأينا أنابيب لمياه الشرب وهي صغيرة ضيقة بالنسبة إلى الموجود منها في بلادنا، ورأينا شوارع المدينة مشجرة أيضاً مثل شوارع العاصمة (بشكك) وإن كانت هذه المدينة أقل تشجيراً وأشجارها أقل ارتفاعاً وسموقاً في الجو.

والتشجير في مدن ما وراء النهر، يكاد يكون السمة الغالبة المشتركة فيها، وإن كان بعضها أكثر في ذلك من بعض.

وبعض الأشجار في (أوش) هي من أشجار الفاكهة المثمرة كالتوت، بخلاف أشجار الشوارع في العاصمة، فأكثرها من أشجار الظل.

والبيوت أكثرها من طابق واحد، وأغلبها مبنى بلبن الآجر وهو الفخار ـ وبعضها مبنى كله من الخشب.

قلنا فيما سبق: إنه كان من عادة الشيوعيين في أوج طغيانهم أن يصادروا أغلب المساجد الموجودة في المدينة التي يسيطرون عليها ولا يبقون فيها إلا واحداً إذا كانت متوسطة أو صغيرة لذلك يسمى ذلك المسجد الباقي في الغالب (جامع كذا).

وهذه الحال بالنسبة إلى الجامع الذي قصدناه وهو (جامع أوش) فوقفنا عنده ووجدنا عليه كتابة بالعربية أي بالحروف العربية (أوش شهر

ربات عبد الله جان جامع مسجدي)، أي رباط عبد الله جان والمسجد الجامع في مدينة أوش، فكلمة (شهر) تعني مدينة باللغة التركية وما تفرع عنها من لغات بلاد ما وراء النهر و (ربت) هكذا كتبوها وهي (رباط) العربية التي تعني مكان إقامة طلبة العلم أو المحتاجين أو نحوهم. وعبد الله جان هو باني هذا المسجد الجامع.

كان معنا في المسجد الأخ الشيخ (صاحب جان عبد الواحد) رئيس الأئمة في ولاية (أوش) بمعنى أنه المسئول عن الشئون الدينية في هذه الولاية، لأنه لا مجال لأي شيء يتعلق بالدين هنا فيما عدا المساجد إلا الفصول الدراسية الملحقة بالمساجد التي كان التعليم أو لنقل التلقين فيها يتم خفية وعلى حذر، لأن السلطات الشيوعية تعاقب من يفعل ذلك جرياً على سياستها الإلحادية المعادية للدين.

كما كان معنا الأخ (عمر جان قاسم) مؤذن المسجد الذي ذكر أن عدد الذين يؤدون صلاة الجمعة فيه يتراوح ما بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف، وأن عدد المصلين الصلوات الخمس المعتادة في حدود مائتي مصلٍ.

والأخ عبد الجبار حكيم متولى المسجد وهو المسئول عن ترميم القسم القديم منه، فذكر أن حكومة الولاية تسهم في نفقات ترميم المسجد التي تجري الآن كما تبرع المواطنون أيضاً.

والمسجد الجامع هذا قديم في الأصل ذكروا أن تاريخه يرقى إلى سبعمائة سنة إلا أنه جدد عدة مرات، ويتألف في الوقت الحاضر من قسمين، بل من مسجدين منفصلين وإن كانا داخل منطقة واسعة مكشوفة فيها عدة أبنية.

أحدهما الحديث وهو طويل وواسع ومبني على طراز لا طعم له عندنا، ولأنه مبني بالإسمنت المسلح القائم على أعمدة معتادة دون أن يكون له طابع خاص أو أن تكون عليه مسحة فنية أو أي إرادة للجمال.

وربما كان هذا مفهوم السبب من كونه بني في أواخر الحكم الشيوعي، إذ كان هم المسلمين آنذاك مجرد أن يجدوا لهم مسجداً يصلون فيه، وليست لديهم الإمكانات، ولا كان لهم الاستعداد النفسي لكي يتأنقوا في بنائه.

وفراش هذا المسجد بساط ساذج (موكيت) وفي الصفوف الأمامية طراحات وثيرة.



داخل المسجد الجديد في أوش

عندما أبديت لهم استغرابي لسعته ذكروا أنه يمتلىء بالمصلين يوم الجمعة حتى إن عددهم يصل ما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف مصلٍ.

ومع ذلك ذكروا أن بجانب هذا القسم الحديث قسماً صيفياً يصلي الناس فيه في الصيف بعضه مكشوف وبعضه مظلل.

ومتولي المسجد وهو رئيس الجمعية القائمة عليه هو عبد الجبار حكيم يقوم بهذا العمل محتسباً الأجر من الله تعالى.

والقسم الثاني من المسجد، أو لنقل المسجد الثاني في هذه المساحة المكشوفة مسجد قديم جداً مبني على طراز إسلامي رفيع أي على الطراز الإسلامي الأنيق الذي كانت تبنى عليه المساجد والمدارس القديمة فهو ذو قبة معقودة بالآجر ولكنه غير راسع

يقع هذا المسجد بأجمعه في لحف جبل واقف يطل على مدينة أوش، ويقع القسم الجديد أو المصلى الجديد من المسجد على أقدام هذا الجبل يصعد إليه بدرج.

ويسمى الجبل (جبل سليمان) ويريدون بذلك النبي سليمان بن داود عليهما السلام.

وتقول أساطيرهم: إن سليمان بن داود مر بهذا المكان وهو راكب على بساطه الذي تحمله الريح فنزل في غار مرتفع من الجبل للاستراحة، ونظر إلى موضع مدينة(أوش) فقال: (خوش) بمعنى جيد،

فسمي المكان خوش من ذلك الوقت وحرفت الكلمة على ألسنة العوام فصارت (أوش) اسماً للمدينة.



وقال لي الإخوة الذين ذكروا هذه الأسطورة: إن الدليل على صحتها أو بعضها أن تاريخ مدينة (أوش) عريق يرقى إلى ثلاثة آلاف عام - طبقاً لما قرره علماء التاريخ والآثار.

وكلمة (خوش) بمعنى جيد هي فارسية شائعة عندنا في اللهجة العامية فيقولون للشخص الجيد (خوش رجال) أي أنه رجل جيد، وللمتاع كالثوب مثلاً: خوش ثوب أي ثوب جيد.

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال إذا حملت القصة على محمل الجد وهو ما إذا كان سليمان بن داود عليه السلام يتكلم الفارسية بمعنى أنها لغته ولغة أصحابه، إذ المعروف أنه يتكلم العبرانية، وإذا قيل إنه يفهم الفارسية لأن الله أعطاه معرفة منطق الطير فكيف بمنطق الإنسان؟ قيل: هل كان أهل المنطقة في زمن سليمان عليه السلام يتكلمون بالفارسية؟

وهذا كما قلت - إذا حمل الموضوع على محمل الجد، وإلا فالظاهر أن سبب اختيار كلمة (خوش) الفارسية في تعليل أصل تسمية أوش إنما يرجع إلى أن تلك الأسطورة قد اخترعت عندما كانت اللغة الفارسية شائعة الاستعمال في هذه البلاد، وإن كانت اللغة الوطنية التركية موجودة، وذلك أمر معروف في القرون الوسيطة واستمر إلى وقت قريب، بل لا تزال بعض المناطق في بلاد ما وراء النهر تتكلم الفارسية مثل جمهورية تاجيكستان.

وقد رأيناهم اعتنوا بجبل سليمان هذا فشجروا أسافله، وجعلوا فيه استراحات وأماكن للجلوس وقضاء بعض الأوقات.

وهذا أمر ظاهر يرى من عند المسجد، إلا أن المرافقين من أهل المدينة أخبرونا أن في أعلى الجبل أبنية وأشياء لا يعملها إلا سليمان

عليه السلام ـ كذا قالوا ـ وربما كانت آثاراً قديمة لم يجدوا من يفسر لهم أمرها، قالوا: ومن ذلك موضع قدم ومسجد يصعد إليه الناس.

ولا شك في أن بعضها من مخلفات العصور الوسيطة التي انتشرت فيها الأبنية المقامة على المزارات والقبور والأماكن التي يعتقد فيها الأفضلية بدليل أنني رأيت طوائف من الناس من سائر الأعمار، وهم يصعدون إلى أعلى الجبل بأعداد كبيرة وهم مشاة ذكر لي الإخوة أن هؤلاء يلاقون المشقة في الصعود مشاة إلى الجبل ولكنهم يقصدون زيارة هذا المكان الذي يعتقدون أن بساط سليمان قد حط فيه وأن سليمان استراح هنا لبعض الوقت.

وقد التقطت له صورة قد تكون أوضح لو كان الجو صافياً ولكنه غائم وماطر. وكنت أتمنى أن تتاح لي فرصة الصعود ولو لبعض الطريق من الجبل غير أن المطر منعنا من ذلك، بل زاد هطوله فصار يبللنا ويبلل جبل سليمان وإن كان ذلك لم يثنِ أولئك الراجلين الصاعدين إلى الجبل.

وأمر آخر خشيتِ منه إن أنا صعدت الجبل إلى حيث محط بساط الريح الذي كان فيه سليمان عليه السلام، وهو الخشية من أن يعتقد الناس الذين يروننا وهم آلاف بأننا نقر أفضلية مثلِ هذا المكان على غيره، لأن تخصيصه بالصلاة فيه أمر مبتدع، وإنما ذكرناه واشتقنا إلى رؤيته من باب حكاية الواقع في أذهان الناس عنه.

[illegible]

ذهبنا إلى فندق كان الأخ الكريم (صاحب جان عبد الواحد)

رئيس الأئمة قد حجز لنا غرفاً فيه منذ أن أخبره الإخوة في بشكك أننا سنقدم عليهم اليوم، فوجدناه فندقاً جيداً حديث البناء والأثاث.

وقد أنزلوني في جناح منه يتألف من غرفة نوم فاخرة الأثاث مفروشة بسجاد محلي ثمين ومن غرفة جلوس في وسطه وفيها حمامان ومكان صغير لصنع الشاي ونحوه. وفيه مكتب جيد.

وقد حجز القوم لنا فيه على اعتبار أننا ضيوف عليهم سيدفعون هم أجرة الفندق، والغريب في الأمر أننا حين سألناهم عن اسمه لم يعرفوه وإنما قالوا: إننا نسميه فندق الحكام وفسروا ذلك بأن رجال الإدارة في عهد الحكم الشيوعي كانوا ينزلون فيه.

وقد بحثت مع بعض الإخوة المرافقين الذين يعرفون الروسية والقيرغيزية ومنهم الشيخ محمد حبيب الله عن اسم له مكتوب بإحدى هاتين اللغتين فلم نجد أية كتابة عليه، وحتى مفاتيحه لم يكتب عليها شيء.

فتذكرت أنني رأيت في عدة أماكن من دول شيوعية سابقة استراحات ودور ضيافة نظيفة معتنى بها تخصص لكبار الحكام الشيوعيين وضيوفهم ينزلون فيها أثناء وجودهم في تلك الأماكن ومنها ـ مثلاً ـ في ألبانيا الشيوعية التي كان أهلها ولا يزالون يعانون من شظف العيش، ومن نقص في المساكن.

ولكن تلك الاستراحات أو دور الضيافة فقدت وظيفتها عندما خفت الهيمنة الشيوعية فبيع بعضها وحول بعضها إلى فنادق أو إلى استعمالات أخرى.

يبلغ عدد سكان المدينة (٢٣٠) ألفاً من مجموع سكان ولاية أوش الذين يناهز عددهم المليوني نسمة ٩٢٪ من سكان ولاية أوش هم من المسلمين، ولذلك كثرت فيها المساجد في العهد الأخير حتى بلغت قرابة (٣٠٠) مسجد ٢٢ منها في مدينة أوش، وهذا أمر لافت للنظر في هذه البلاد التي لم تكد تستفيق من داء الشيوعية العضال الذي كان منع المسلمين من بناء المساجد، بل من ممارسة شعائر دينهم بالكلية.



وانطلقنا مع شوارعها المتوسطة السعة بالنسبة إلى حجم المدينة وكونها مجرد عاصمة إقليمية، وكان المطر يهطل، والجو مظلم وقد تحولت شوارع المدينة إلى نهيرات جارية، وذلك لأنها في موقع غير مستوٍ فهي مؤلفة من تلال طينية غير مرتفعة بينها أماكن منخفضة تشبه الوديان المتسعة، ولم يكلف القائمون على تخطيطها، أو حتى ملاحظة الأبنية والطرق فيها أنفسهم أن يحدوا من ذلك عن طريق تسوية بعض الأماكن العالية، لذلك كانت مياه الأمطار تنحدر مسرعة من الأماكن العالية إلى الأماكن المنخفضة.

وبهذه المناسبة سألتهم عن النهر الذي تقع عليه المدينة، لأن مثل هذه المدن القديمة لا تكون إلا على نهر جار، فأخبروني أن اسمه نهر (آق بوز) بمعنى البساط الأبيض، فآق: أبيض، وبوز: بساط.

وذكرت بهذه المناسبة عدة أنهار وبلدان وردت فيها لفظة (آق) بمعنى أبيض مثل (آق صو) في تركستان الشرقية ومعناه الماء الأبيض، وقد ذكرته في كتاب «في مهد الترك»، كما أنني سرت بالقارب على آق إيدل وهو نهر إيدل الأبيض قرب مدينة (أوفا) عاصمة جمهورية بشكيريا بالقرب من جبال الأورال في أوروبا وهي الآن ذات استقلال ذاتي داخل جمهورية روسيا الإتحادية، وقد ذكرت شيئاً من أمره في كتابي (الرحلة الروسية) و (بلاد البشكير والروس).

ألا أن القوم هنا ذكروا أن نهر (آق بوز) لا يتوسط مدينة (أوش) وإنما يجري في قسم واحد منها.

على التلال العشر:

خرجنا من وسط المدينة فعلونا تلة طينية من تلالها مع شارع

ارتفع بارتفاعها ووجدنا البيوت فوق التلة طينية ذات أحواش من الطين مثلما كان عندنا في القديم، وقد ذكرني منظرها بمنظر بيوت الطين القديمة في بلادنا لولا أن هذه هي أبنية غير عالية، وفي بيوتنا لم تكن هناك أشجار غير النخيل.



تنظر من بعض التلال إلى أماكن منخفضة في مدينة أوش وماء المطر في الأرض

وأشاروا إلى مكان في المنطقة ذكروا أنه مقر البلدية، ولم أره فاخراً، ولا لائقاً، وسبب ذلك ما يمكن أن يسمى بالتقشف الجبري في البلدان الشيوعية كما رأينا فيه مقبرة لم نتمكن من الوقوف عندها ولا تصويرها على البعد بسبب حالة الجو.

ثم تجاوزنا هذه التلة التي هي جزء من المدينة أو من ضواحيها، لأنها كلها مساكن فردية ذات طابق واحد، لا توجد فيها أبنية متعددة الطوابق.

وبعد انحدار قصير صعدنا مرة ثانية إلى تلة مماثلة مع الشارع العام الذي هو غير واسع، وعليه المنازل المتصلة وكلها لها مقدمات ضيقة، وفيها شجر أخضر أكثره من أشجار الفاكهة.

ولاحظت أن معظم النساء اللائي رأيتهن قرب هذه البيوت عليهن مناديل بيض على رؤوسهن قريبة من (الغترة) البيضاء التي نلبسها مع أن عددهن قليل الآن بسبب المطر وأكثرهن من اللاتي تعدين مرحلة الشباب، وواضح من مظهرهن أنهن من المسلمات الملتزمات.



ثم علونا بعد ذلك تلة أخرى وصلنا فيها إلى هدفنا الذي جئنا إليها من أجله، ووجدنا في الاستقبال بعض الإخوة المنتظرين تحت المطر.

وقد دهشت لجمال منظرِ ضواحي المدينة من هذه التلة المرتفعة حيث يرى المرء التلال التي تعلوها البيوت من غير كثافة والوديان أو الأماكن المنخفضة توشحها الحقول الخضر مما يلي الجهة البعيدة عن المدينة.

فلاحظ القوم ذلك وقالوا: لا عجب لأن اسم المكان (أون أدر) ومعناها: التلال العشر، لأن (أون) عشر و (ادر) تلة بلغتهم.

مسجد الإمام الأعظم:

والمقصود به الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت الذي يتبع مذهبه في الفروع أهل هذه المناطق من بلاد ما وراء النهر.

وهذا المسجد هو الذي من أجله زرنا هذه التلة المسماة مع ما حولها (التلال العشر)، وكنا تلقينا من الرابطة طلباً من المسؤلين عن المسجد يريدون المساعدة المالية من الرابطة، لأنهم بدأوا في بنائه وقصرت بهم النفقة عن إتمامه.

مع أننا جئنا إلى هذه المنطقة من أجل الاطلاع على هذا المسجد وأمثاله لكي نقدم للقائمين عليه مساعدة مالية عاجلة.

وقد بدا (مسجد الإمام الأعظم) هذا في أعلى نقطة من هذه التلة بحيث يرى من مسافات بعيدة ومن محلات عديدة.

ويقع على شارع رئيسي اسمه (شارع صدر الدين عيني) وهو

كاتب مشهور عندهم، وجدنا في الاستقبال الأخ (غلام جان أرتق)، والأخ (محمد جان بولداش) متولي المسجد بمعنى رئيس الجمعية القائمة عليه، وإمام المسجد الشيخ بلال قاري.



[illegible]

وهذا المسجد جديد كله إذ يوجد بجانبه مسجد قديم كانوا قد جددوا بناءه قبل فترة ولكنه ليس على الشارع العام، وليس مبنياً بناءً قوياً على طراز عريق.

وذكروا أنهم سوف يجعلون هذا المسجد القديم مدرسة لأنهم الآن يدرسون أطفالهم فيه، وقد أدركوا مثل غيرهم من أهل هذه البلاد

المسلمة التي تخلصت لتوها من طغيان الشيوعية ما لتعليم الأولاد تعليماً إسلامياً من أهمية بالغة.

وعندما أرادوا بناء هذا المسجد الجديد طلبوا من الحكومة أن تمنحهم أرضاً مجاورة حكومية وجميع الأراضي في البلدان الشيوعية هي ملك للحكومة وحدها على اعتبار أنهم يحتاجونها للمدرسة. فأعطتهم بستاناً ملاصقاً لأرض المسجد.



في الشارع على ظهور [illegible] في أوش

وقد نوهوا بذلك كما نوهوا بأن الحكومة تساعدهم بأن تبيع لهم الحديد والإسمنت اللازم للمسجد، وقد رأينا قواعد البناء للمسجد

وأعمدته على غاية من القوة والمتانة لا تكاد تسمح بها نفوس كثير من الأغنياء، وهم قد سمحوا بذلك على قلة ذات اليد بل على فقرهم الشديد.

وقد التف علينا طائفة من أهل الحي ومنهم من جاء والمطر ينزل، ولم أرهم يستعملون المظلات الواقية من المطر كثيراً في هذه المناطق، وربما كان ضيق ذات اليد يمنع بعضهم من ذلك، وقد حضر المسؤولون عن المسجد وفيهم (المتولي)، والإمام والمؤذن، وأخبرونا أن المصلين في المسجد يوم الجمعة يبلغون ألفي مصلٍ وفي الصلوات المعتادة حوالي مائة، وأن لديهم مدرسة فيها عدد من الطلاب يتعلمون مبادىء الإسلام وقراءة القرآن، فأعلنا لهم تبرع الرابطة تبرعاً عاجلاً للمسجد قدره أربعة آلاف دولار أميركي نقداً. فسروا بذلك حتى إن أحدهم رأيته يغالب دموع الفرح في عينيه.

وهذا المبلغ وإن كان قليلاً عندنا فهو كثير عندهم نظراً لتدني الدخول، وانحطاط قيمة عملتهم (الروبل).

وقد أخبرنا الإخوة أن هذا المسجد هو الجامع الخامس في المدينة وأن الجامع السادس يبنى الآن يريدون بذلك المساجد التي تصلى فيها الجمعة وأما بقية المساجد التي تصلى فيها الصلوات الخمس دون الجمعة فكثير.

وهذا أمر عجيب من أمر هذه الولاية المسلمة إذ أخبرنا إخواننا أن عدد المساجد فيها أي في ولاية (أوش) يناهز ٣٠٠ مسجد.

وبالنسبة للجوامع هي أكثر من الجوامع في العاصمة(بشكك) التي هي أكبر منها وأوسع، لأن السكان غير المسلمين موجودون في

العاصمة بكثافة بخلاف هذه فإنهم موجودون على قلة.



نزلنا من هذه المنطقة المرتفعة منطقة التلال العشر لكي نصل إلى الجامع الأعلى وعلوه معنوي وحسي، إلا أن موقعه دون موقع مسجد الإمام الأعظم في العلو وإن كان عالياً، انحدرنا من التلة التي كنا فيها إلى مكان منخفض ثم علونا تلة أخرى. وذلك في انخفاض غير منحدر وفي ارتفاع غير حاد.

وكان المطر ينزل رذاذاً، غير أنه كان قد أظهر عيوب الطريق الأزفلتية التي كان سترها التراب قبله، فظهرت فيها الحفر والنقر، حين ذاب طينها، فصارت تتعثر فوقها السيارات.

ونحن في ضواحي المدينة ذات البيوت المتطامنة التي



في محراب الجامع الأعلى في [illegible]

تتقدمهاالأشجار، وتتخللها كذلك، واخترقنا قسماً من المدينة، حتى وصلنا (الجامع الأعلى) فوجدنا إمامه الشيخ رحمة الله بن قاسم جان قاري وهو خطيبه كذلك.

وليس ذلك فحسب، وإنما يبني هذا الإمام إدارة للمدرسة والجامع بنفقته، وكان قد بنى المدرسة الإسلامية من قبل وهي فصول دراسية أشبه بالكتاب، وذلك أنه يشتغل بالتجارة ولديه مصنع صغير للمنسوجات ينفق من ريعه على هذا المسجد وغيره من المشروعات الخيرية، وهو يتكلم العربية بطلاقة يحسد عليها رغم كونه لم يتعلم العربية إلا في هذه البلاد، وهو من الشخصيات الفريدة التي يعجب المرء لوجودها في مثل هذا الوسط الشيوعي الذي كان يحكم البلاد سابقاً، وقد أسس بناء ضخماً لمدرسة جديدة كبيرة من ثلاثة طوابق واقعة على الشارع العام.

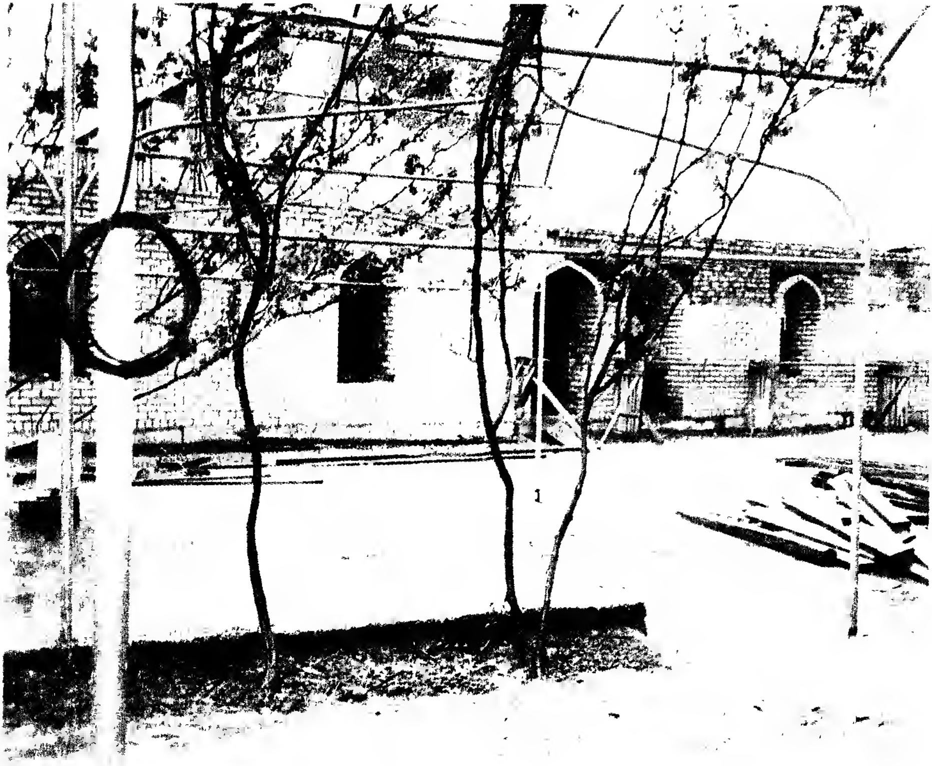
ويقع المسجد في محلة (بوجيني قرادوك) أي طريق الجنوب. لأن (بوجيني) جنوبي، وقد منعنا المطر الهاطل من التقاط صورة عامة للجامع. وذكر الإمام (رحمه الله) أنه أتم بناء هذا المسجد في عام ١٩٩١ م وأنه يقوم الآن ببناء مدرسة إسلامية بجواره مؤلفة من ثلاث طبقات وأنه يرجو الإسهام معه في نفقات بنائها. وقد رأينا الأساسات العميقة الضخمة للمدرسة واقعة في جوار المسجد.

والإمام الشيخ (رحمة الله قاري) يحفظ القرآن الكريم.

جامع الإمام البخاري:

انحدرنا من التلة غير العالية التي فيها الجامع الأعلى إلى وسط

المدينة وكان المطر ينهمر مدراراً فوقفنا في شارع واسع مهم من المدينة اسمه (شارع قيرغيزستان) من حي (زين العابدين).



وذلك عند البوابة الخارجية الفخمة الجميلة التي بنيت مثلما بني سائر المسجد على الطراز التقليدي الفاخر القديم المعروف في بلاد (ما وراء النهر) هذه وهو من الآجر.

وكانت هذه البوابة هي المدخل الخارجي لمسجد الإمام البخاري وقد كتبوا عليها بخط عربي جميل الآية الكريمة **(إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾**، مسجد الإمام البخاري.

وذكر الإمام أنه هو الذي كتب هذا الخط باللون الأخضر الجميل، وقال لنا: أنا إمام وخطيب ومهندس.

وجدنا إمام المسجد الشيخ محمد بن أحمد على رأس طائفة من المعنيين بأمر المسجد الذي وجدناه واسعاً من الداخل وكأنه الجامع الكبير الذي بناه ملك كبير فناؤه واسع جداً.

ولا يزال العمل جارياً في المسجد بأقواسه المعقودة بالآجر الأحمر ونوافذه التي تزينها أفاريز من الآجر أيضاً مع أن البناء كله بالآجر وهو الفخار.

ذكروا لنا أن جميع النفقة التي أنفقت عليه هي من تبرعات أهل الخير في هذه البلاد، وأنهم الآن قد توقفوا عن العمل لنفاد ما عندهم من النقود بالنظر إلى قلة النقود لدى أهل هذه البلاد في هذه الأيام، وأنهم كانوا يبحثون عن شيء يمكنهم من مواصلة العمل في المسجد، ويدعون الله تعالى أن ييسر لهم ذلك.

كانوا يقولون ذلك بتأثر بالغ وقد حضروا كلهم، فقلت لهم: لقد استجيبت دعوتكم. وسوف نقدم لكم مبلغاً من المال يمكنكم بإذن الله تعالى من استئناف العمل في المسجد، وإن لم يكفِ لحاجة المسجد كلها، وسوف نعطيكم عنواننا في رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة لتكتبوا للرابطة إذا أنفقتم ما أعطيناكم وما قد تحصلون عليه من تبرعات من الداخل ولم يكتمل المسجد فتخبرونا بذلك وتؤيدوا ما تقولونه بتصديق من الإدارة الدينية لمسلمي ما وراء النهر في طشقند ونحن ـ إذا فعلتم ذلك ـ سوف نرسل لكم مبلغاً كافياً لإتمامه إن شاء الله، فشكروا ذلك وأعظموه، وحمدوا الله تعالى وكبروه.



ثم حدثونا عن المسجد بأنه قديم جداً قيل إن أصله يرجع إلى

أربعمائة سنة، ولكنه كان صغيراً فصادر الشيوعيون ما حوله من الأراضي التي تتبعه. ثم استعاده المسلمون في العام الماضي وبدأوا بناءه على هذه الصفة العظيمة المشرفة مع ضعف الوسائل وقلة الأموال.

وذكروا أن موقعه مهم وأن عدد الذين يحضرون صلاة الجمعة فيه يبلغ ألفي مصلٍ في المتوسط، أما الصلوات الخمس المعتادة فليس العدد كثيراً وإنما يتراوح بين ٨٠ و ١٠٠.

ولديهم مدرسة ملحقة في المسجد بدأوا التدريس فيها منذ عهد قريب، وذلك لأن موقعها لم يتم تجهيزه إلا منذ أشهر، ومع ذلك هو مؤقت لأنهم يبنون مقراً لمدرسة كاملة ضمن مبنى المسجد وأن عدد التلاميذ فيها الآن هو ثمانون تلميذاً.

إلى الماء الأسود:

الموقع التالي الذي سنزوره يقع خارج مدينة (أوش) ويسمى (قره سو) ومعناها: الماء الأسود بلغتهم التي هي مأخوذة من التركية القديمة، والمراد بالماء هنا: النهر. وقد نشأت قرية بالقرب من نهر (قره سو) سميت على اسمه وهي التي سنزورها الآن.

ولكن ذهابنا إليها لن يكون مباشر بل سنمر قبلها بـ:

بلدة قشقر قشلاق:

ومعنى اسمها: مدينة كاشغر، و (كاشغر) هي المدينة العريقة الشهيرة في تركستان الشرقية التي تتبع الصين في الوقت الحاضر، وتسمى ـ عالمياً ـ بإقليم سنكيانغ.



خرجنا من مدينة (أوش) مع طريق مزدوج واسع فوصلنا الريف الأخضر المعهود وكان المطر لا يزال يهطل فعدلنا منه إلى بلدة (قشقر قشلاق) ذكروا أنها سميت بهذا الإسم لأن أول من نزل فيها كانوا جماعة من أهل (كاشغر) وأسموها على اسم مدينتهم (قشغر) وهي (كاشغر) بالعربية التي ذكر المؤرخون أن قتيبة بن مسلم الباهلي فتحها في عام ٩٦ هـ. وقد ذكرت شيئاً بل أشياء عنها في كتاب «في مهد الترك» وبخاصة صلاتنا في جامع (عيد كاه) الشهير فيها.

هذا هو السبب في تسميتها بهذا الاسم، وإن كان بعض المرافقين

قد قال من باب الحدس والتخمين: إنها ربما كانت سميت بكاشغر لقربها منها حيث لا تزيد المسافة بينهما على ٤٥٠ كلم، ولكن هذه مسافة ليست بقريبة وإنما الصحيح ما ذكرناه من كونها سميت (كاشغر) لأن أول من نزلها هم طائفة من الإخوة المسلمين أهل (كاشغر).

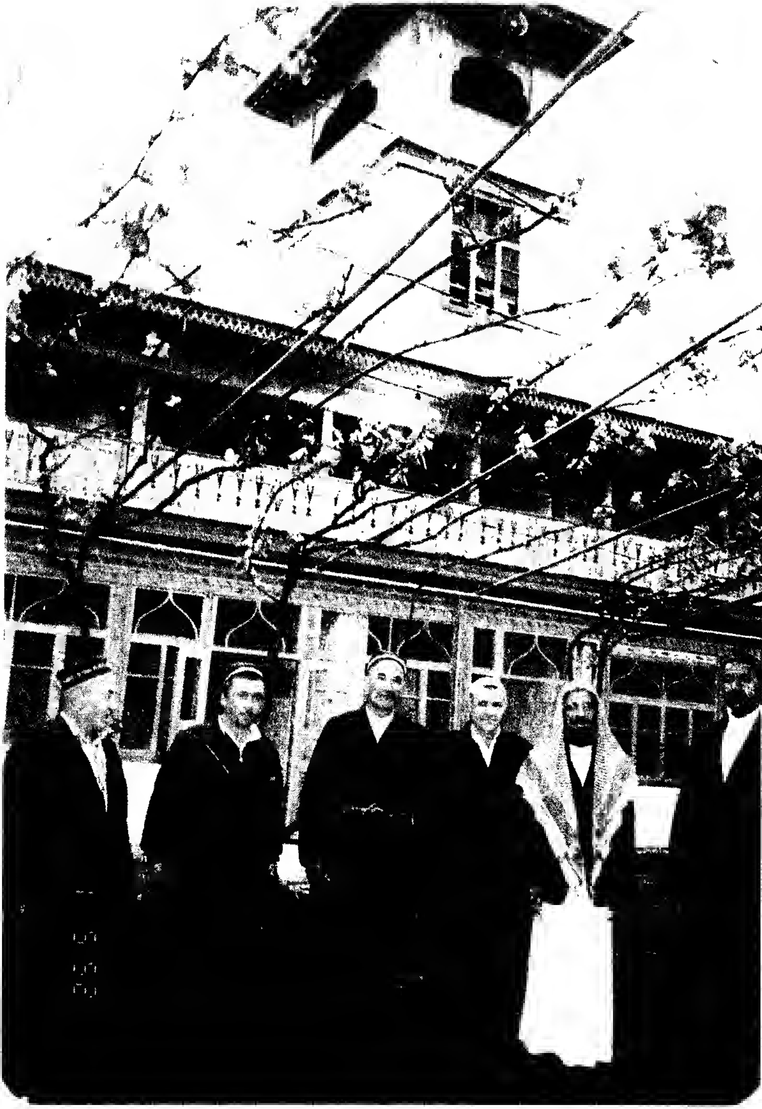
كان في الاستقبال عد مسجد جامع المدينة الأخ (سيد كمال جان بن مختار جان) إمام المسجد، والشيخ (أدهم جان إسلام) متولي المسجد الذي هو بمثابة رئيس جمعيته كما تقدم.

والمسجد جميل البناء بني على طراز تقليدي جميل فمنارته صومعة أي مربعة على هيئة المآذن في تلك البلاد التي تبنى بشكل يقرب من الشكل الصيني وإن تكن غيره وهي من الخشب مثل حوائط القسم الجديد من المسجد، وإن كانت أعمدته وجدرانه الخارجية من الآجر.

وتزينه قبة بيضاء يعلوها شعار المسلمين وهو الهلال الأبيض، وقد غرسوا في فناء المسجد أشجاراً من الفاكهة أهم ما فيها عرائش العنب العالية وإن كان العنب لم يستكمل أوراقه وأغصانه الجديدة بعد.

ذكروا أن أصله مسجد قديم صغير بني قبل أكثر من مائة سنة فهدموه ووسعوه وانتهوا من ذلك في العام الماضي.

وفي المسجد مدرسة واسعة الفصول إن لم نقل القاعات. ويعجب المرء منا حينما يعلم أن كل هذه الأبنية قد بنيت من التبرعات التي جمعوها قليلاً قليلاً ليس ذلك لشح الإخوة بالنقود حاشا وكلا وإنما لضيق ذات اليد عندهم في هذه الظروف التي كررنا ذكرها وهي



صورة تذكارية داخل جامع [illegible] مع المسؤولين عن المسجد، وتبدو المنارة الخشبية المربعة في الأعلى

ظروف الانتقال من الاقتصاد الشيوعي الى اقتصاد السوق الحر. من دون أن يأخذوا لهذا الأمر أهبته أو يستعدوا لهذه المرحلة، وإنما كان

همهم كلهم حتى الروس منهم هو التخلص من النظام الشيوعي بسرعة، ثم العمل على كيفية الخروج من ذلك إلى الاقتصاد الحر في التجارة الداخلية وهذا ما حدث.

وحدثونا عن هذا المسجد أنه عندما كان مسجداً قديماً صغيراً، صادره الشيوعيون وأبقوه معهم عدة سنوات حتى استعاده المسلمون في وقت مبكر وذلك عام ١٩٤٧ م لأنه هو المسجد الوحيد في البلدة في ذلك الوقت.

وقد شاهدنا القسم الأمامي من المسجد فألفيناه واسعاً عريضاً جداً أي أن طوله هو من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي أما عرضه فإنه في اتجاه القبلة في الجنوب الغربي إلى مداخله في الشمال الشرقي.

ذكروا أن عدد المصلين في الجمعة كثير حتى إنه يضيق بهم لأنهم يبلغون في المتوسط ألفاً وخمسمائة مصلٍ، وأنهم بحاجة إلى المساعدة لاستكمال المبنى الجديد ومبنى المدرسة.

وقد ودعنا إخواننا الكرام من أهل هذا المسجد بعد أن أعلنا لهم تقديم مبلغ مالي عاجل من رابطة العالم الإسلامي إسهاماً منها في إكمال المبنى والمدرسة، ثم عدنا إلى سلوك الطريق الرئيسية الواسعة ذاهبين إلى بلدة قره صو:

بلدة قره صو:

اخترق الطريق ريفاً خالصاً وكان المطر لا يزال يهطل والهواء يهب بارداً إلا أن المطر كان خفيفاً.

وتوجد بيوت غير كثيرة في هذا الريف من طابق واحد أكثرها من الخشب، وتزين الطريق أشجار من التوت الذي يستفيدون منه في تربية دود القز لإنتاج الحرير الطبيعي الذي تشتهر به هذه المنطقة من بلاد ما وراء النهر، وبخاصة في جمهورية أوزبكستان المجاورة.

وعادتهم أن يقطعوا شجرة التوت إذا زاد ارتفاعها عن المترين فتيبس أوراقها وتموت في الشتاء حتى إذا حل الربيع أورقت وأغصنت أي أخرجت أغصاناً صغيرة مليئة بالثمر وأوراقها هي التي يتغذى عليها دود القز.



ضاحية (قره صو)

قصدنا (قره صو بازاري) أي سوق بلدة (قره صو) لأن (بازاري) هو سوق بلغتهم، وهو مجمع أسواق واسع على شكل مربع تحيط به الحوانيت الصغيرة، أنشىء حديثاً في البلدة، وله مدخل جيد على هيئة بوابة مبنية على الطريقة التقليدية في البلاد من الآجر الأحمر الشائع الاستعمال هنا، فسألنا عن المسجد فدلونا على غرفة واسعة يظهر أنها كانت في الأصل حانوتين اثنين ازيلت الحواجز بينهما واتخذت مسجداً مؤقتاً تصلى فيه الصلوات الخمس، وصلاة الجمعة على ضيقه.



وجدنا فيه حارساً كبير السن استدعى الإمام بسرعة فأخبرنا بأنهم يطلبون المعونة في بناء مسجد على أرض واسعة أعطتهم الحكومة إياها لهذا الغرض لتكون مسجداً جامعاً يصلي فيه أهل السوق وأهل المنازل القريبة، مع أن المنطقة تبدو ريفية، ولكنها قريبة من منازل البلدة فهي في ضاحية منها.

ولم نستطع تقديم شيء من المال لهذا المسجد، لأنهم لم يبدؤا في بنائه حتى الآن، وإنما وعدناهم أنهم إذا بدأوا بذلك وكتبوا إلينا بواسطة الإدارة الدينية في طشقند فإننا سنرسل إليهم ما يساعد على البناء.

زلق الحمار...

تركنا (قره صو) في السابعة والنصف والشمس تغرب بعد الثامنة بقليل وعدنا إلى مدينة (أوش) وطلبنا من الإخوة أن نمر بسوق البلدة فقد نرى فيه ما يعجبنا اغتناماً للوقت لأننا سنغادرها في صباح الغد، وعندما وصلنا المدينة سلك السائق وهو من أهل المدينة طريقاً مختصراً لم نمر به من قبل يخترق منطقة مهملة من المدينة بعض شوارعها قد خربت أرضه، واضمحل الزفت الذي كان فيه، وكله مناقع من المطر الذي كان يهطل بشكل متقطع منذ البارحة فاعترض طريقه منقع كبير من مناقع الماء فدخل فيه وإذا به أعمق مما كان يظن فانطفأ محرك السيارة وصرنا محصورين فيها لا نستطيع النزول منها لأن الماء عميق وفيه طين ووحل، وهو يحيط بالسيارة وعلينا الأحذية والجوارب والملابس العربية، فكانت حيلتهم أن أرسلوا سيارة عالية وقفت بأزاء سيارتنا ينتقل الشخص منها إلى تلك السيارة، ثم عالجوها حتى سارت.

أما أنا فإنني انتهزت هذه الفرصة لكتابة بعض ما تقرأه الآن فكنت حتى داخل السيارة أكتب في مفكرتي الصغيرة والتقطت بمصورتي ما أريده من مناظر، ومع ذلك كان يتردد في ذهني مثل عربي قديم من أمثال المولدين وهم الذين ولدوا في الحواضر الإسلامية بعد فشو اللحن في اللغة العربية وهو (زلق الحمار وكان من شهوة المكاري) والمكاري هو الذي يؤجر حماراً للركوب.

وإذا زلق الحمار وغالباً ما يكون ذلك في وحل مثلما فعلت سيارتنا فإن المكاري يبقى معه لا يبرح، وربما كانت له رغبة في ذلك كما في المثل . . . وكان من شهوة المكاري.

ولم أشأ أن أضرب المثل لنا ـ وليس لنا مثل السوء ـ بمثل آخر قديم وهو (زل حمار الشيخ في الطين) لأنه يستعمل في تورية غير مناسبة.

ومع ذلك لم نجد في السوق أحداً إذ اليوم هو الأول من مايو الذي يسمونه عيد العمال، ويحتفل به الشيوعيون أكثر مما يحتفلون بأي يوم آخر ومن ذلك تعطيل الأعمال.

ومررنا بنهر (آق بوز) فوجدته أكبر مما تخيلته، ذا مياه متدفقة حمراء اللون كأنما قد شهد فيضاناً، وهو قد شهد بالفعل سقوط أمطار انتهت مياهها إليه.

وفي الطريق إلى الفندق مررنا بمسجد مكتمل اسمه (الشهيد قوبا) أي مسجد الشهيد العالي والتقطنا صوراً لجزء من المدينة من موقعه لكونه مرتفعاً.



رئيس الأئمة الأخ صاحب جان عبد الواحد على باب مسجد الشهيد العالي في آوش

توزيع المبالغ المالية:

عدنا إلى الفندق وبعد صلاة المغرب أحضر أحد الإخوة لنا طعام العشاء من بيته وهو أرز بخاري ولا عجب لأننا في بلاد (الأرز) البخاري الدسم، ومعه اللحم الحلال والخبز والفاكهة تفاح.

ثم حضر إلينا المسئولون عن المساجد والمشروعات الإسلامية التي قررنا تقديم مبالغ مالية من الرابطة للإسهام في اتمامها.

وكنا أخبرناهم قبل ذلك بأن علىٰ كل أهل مشروع أن يحضروا منهم المتولي أي رئيس الجمعية وإمام المسجد ونائبه وأن يحضروا معهم الأوراق الرسمية للجمعية والأختام التي تخصها، فأعطيناهم المساعدة المقررة لهم بحضور رئيس الأئمة في (أوش) الأخ (صاحب جان عبد الواحد) وكذلك بحضور الشيخ محمد حبيب الله نائب قاضي جمهورية قيرغيزستان، وذكرنا لهم جميعاً أنه إذا جاءتنا إفادات من الإدارات الدينية بأنهم أنفقوا كل ما لديهم إنفاقاً صحيحاً ولم ينتهِ المشروع فإننا سننظر في موضوع تخصيص دعم مالي إضافي لهم.

وقد تأثروا من ذلك غاية التأثر حيث كان فرحهم غامراً، بل بكى أحدهم وهو يتسلم منا الدولارات الأمريكية نقداً قائلاً: إن أيديهم كانت فارغة والعمل متعطل في المسجد ونحن بحاجة إلى الصلاة فيه، وقد بعثكم الله منقذين لمشروعنا من الإفلاس، فأخبرناهم بأن ذلك واجبنا، وأن الرابطة حين تقدم هذا الدعم المالي الرمزي لا تعتبره منحة أو منة وإنما هو جزء من القيام بالواجب عليها للمشروعات الإسلامية في هذه البلاد وأن الفضل الأول لله تعالى ثم لهم هم أنفسهم، لأنهم بدون جهودهم وعملهم لا يمكن للرابطة أن تسهم بالمشروع فهي لا

تقوم بإنشاء مشاريع إسلامية مستقلة، لأن حاجة المسلمين في أنحاء العالم كله لمثل تلك المشاريع كثيرة وواسعة والرابطة تساعد كل عام آلاف المساجد والمدارس والمراكز الإسلامية.

وقد قال أحد الأخوين الزميلين في وفدنا وهما: الأستاذ محمد محمود حافظ المدير العام للإعانات والمشاريع في الرابطة والأستاذ رحمة الله بن عناية الله مساعد مدير الدراسات والبحوث فيها: إنه لو لم يكن في رحلتنا هذه الطويلة من الخير الذي تحقق إلا مساعدة هؤلاء الإخوة الذين يسكنون في هذه المنطقة المسلمة المنعزلة التي لا تزورها الوفود الإسلامية في العادة، لكان ذلك خيراً كثيراً مبرراً لقيام الوفد بهذه الرحلة، فقلت: إننا نأمل أن ننجز من هذه الأعمال الإسلامية المهمة أكثر من ذلك بكثير، فيما يأتي من الأيام، وبخاصة في البلدان التي لم تسبق لنا زيارتها وليست لدينا معلومات سابقة عنها، مثل قازاقستان ومنغوليا في هذه الأوقات التي تجتاز تلك البلاد فيها ظروفاً اقتصادية صعبة.

كان الإخوة الكرام من أهل أوش قد أخبرونا أمس أنهم حجزوا لنا إلى بشكك على أول طائرة تسافر من (أوش) إلى بشكك في صباح اليوم وأن موعد قيامها هو السادسة إلا الربع، وقد سررنا بذلك لأنه يوفر لنا وقتاً نحتاجه في بشكك.

وقد أسرعوا جزاهم الله خيراً فجاؤوا قبل الفجر بطعام وشاي من بيوتهم للإفطار منه، فكنا نستحثهم على سرعة مغادرة الفندق والذهاب إلى المطار حذراً من فوات موعد الطائرة فلم نتناول الفطور الذي أحضروه، وإنما أسرعنا بلملمة أمتعتنا استعداداً للخروج للمطار، وصلى بعضنا صلاة الفجر في الفندق، وبعضنا لم يصلِ فيه احتياطاً للوقت، لأنه لم يبد في الأفق أي نور.

وكان من بين الحاصرين الأخ الشيخ رحمة الله بن جان قاري ومعه بُنية له في التاسعة من عمرها اسمها زمزم فتلت آيات من القرآن الكريم تلاوة جيدة.

وخرجنا على سيارتين احداهما ركبت فيها وهي سيارة الأخ



مع الأخ مبلي باي الذي أحضر الطعام إلى الفندق والمطار من بيته ونقلنا بسيارته إلى المطار.

(ميلي باي) الذي كان قد أحضرها لنا أمس، يسوقها بنفسه، وكان المطر ينزل خفيفاً، والريح باردة لأنها كانت غب مطر طيلة أمس والبارحة، وكانت الشوارع خالية من أي سيارة، بل من أي شيء يتحرك، ومصابيح الشوارع مضاءة كأننا في أول الليل، لأن السماء كانت غائمة والمطر ينزل كما ذكرت، وكانت الشوارع مفروشة بالمياه التي ينعكس عليها نور السيارة.

لا حركة في المطار:

وصلنا مبنى المطار الذي يبعد عن فندقنا ١٤ كلم في السادسة إلا ثلثاً ونحن على وجل من موعد الطيارة الذي ذكروا أنه في السادسة إلا ربعاً، فلم نجد في المطار أحداً لا من الناس ولا من غيرهم إلا كلب حراسة نبحنا عندما وصلنا مبكرين، ولكنه رأى كثرتنا فسكت من الخوف فيما يظهر.

ورأينا ساعة المطار تشير إلى الرابعة إلا الثلث، فقال القوم: إنها مركبة على وقت موسكو ثم أخذوا يتسآءلون فيما بينهم عما إذا كان وقت قيام الطائرة هو السادسة إلا الربع بوقت موسكو؟ ومعنى ذلك أنه بقي على قيامها ساعتان.

ولم يكن يوجد في المطار أي موظف يمكن أن يسألوه عن الموعد الصحيح لقيام الطائرة، ومن المحتمل أنه ليس كما فهموه من قبل.

وقال الأخ حبيب الله: إن جميع المطارات في آسيا الوسطى توقت طيرانها بوقت موسكو، ومن الطريف في الأمر أن وقت أوش متأخر عن العاصمة (بشكك) بساعة واحدة ولذا يعرفون التوقيت المضبوط بوقت موسكو.

لقد خرج جمع من الإخوة معنا إلى المطار وعلى رأسهم رئيس الأئمة في منطقة (أوش) الأخ صاحب جان عبد الواحد. ورحمة الله إمام وخطيب الجامع الأعلى والشيخ بلال الدين إمام وخطيب جامع أبي حنيفة. فكان أن سارعوا وبسطوا سفرة على منصة تفتيش الحقائب في المطار ووضعوا عليها طعام الإفطار الذي كانوا أحضروه، ولم

نستطع أكله في الفندق حذراً من فوت الطائرة، ويتألف من طعام عندهم يسمونه (شوش بره) وهو شبيه بالسمبوسك إلا أنه لا بد من أن يكون في داخله لحم وهو من عجين خالٍ من القشور لذلك يبدو أملس أبيض سهل المضغ والبلع، إلى جانب خبزهم الغليظ الجيد الذي أسميته (عدو الجوع) لأنه يملأ البطن حقاً وهو من القمح الخالص. ومع ذلك سلطة الخضار من الخيار والطماطم، والشاي الذي أحضروه في (زمزميات) كبيرة وهي أواني حفظ السوائل الحارة والباردة، وقيل لي: إن طعام (الشوش بره) هذا قد أحضره الأخ (ميلي باي) من بيته - ولم نأخذ من الفندق أي طعام.

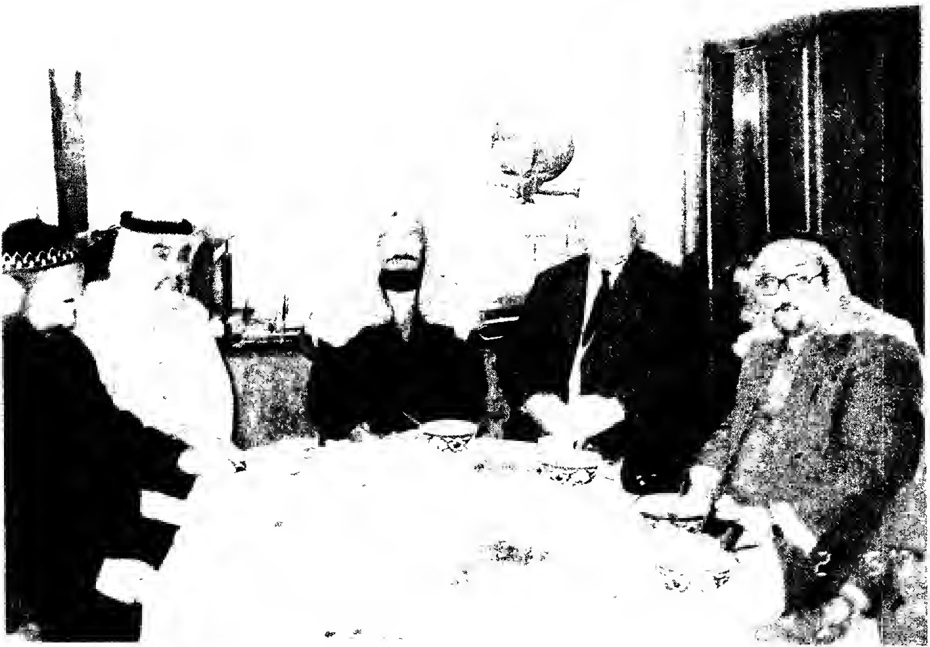
ونسيت أن أقول إن أجرة الفندق الجيدُ وهو فندق أوش كانت لجناح كامل نزلت فيه تساوي خمسة دولارات بالصرف الحر، لأن الإخوة كانوا ذكروا أننا ضيوف لهم وصدقوا في ذلك وهذا ما كانوا ينوونه غير أننا تركناهم يدفعون للفندق ودفعنا لهم ذلك فيما بعد مثلما أننا دفعنا لأرباب السيارات التي استخدمناها وكلها سيارات خاصة للإخوة المسلمين كانوا أحضروها من أجل أن نستعملها بالمجان حتى الوقود كانوا يدفعونه هم. ولكننا دفعنا بعد تمنع منهم وإلحاح منا مبلغاً جيداً لصاحب كل سيارة مع الشكر لهم والتقدير لعملهم.

وقد تحلق القوم معنا على مائدة الطعام التي كانت في المعتاد مائدة توضع عليها حقائب المسافرين للتفتيش، وأكلنا وحدنا إذ لم يكن حضر أحد من موظفي المطار ولا من الركاب إليه.

وبعد ذلك كان أول القادمين عجوزاً مسنة معها مكنسة بدأت تكنس بها قاعة الترحيل، وهي خرقة في رأس عصا غليظة بلتها بالماء صارت تكنس القاعة بها وهي واقفة، ثم جاءت زميلة لها وفعلت مثل فعلها.

ولم يكن لدينا ما نفعله، فأسرع الإخوة جزاهم الله خيراً إلى إحضار شاي بدون سكر بسلطانيات صغيرة من الخزف كما هي عادتهم الغالبة في تقديم الشاي.

جاء أوائل الموظفين بعد طول انتظار وذكروا أنهم لا يعرفون بالضبط متى تقوم الطائرة، ولكنهم فتحوا لنا غرفة جيدة فى الطابق الثاني من مبنى ملحق بالمطار ليس فيها غيرنا أحد، بعد أن كان الركاب بدأوا الوصول إلى قاعة الترحيل.



ثم جاء أهل المطار بالشاي وحلويات ومكسرات.

ووصل رئيس المطاعم في أوش وهو المسؤول عن تقديم الطعام في المطار وفي الطائرات فرحب بنا ترحيباً حاراً واسمه (محمد أمين بن شيخ محمد عصمتوف) أي ابن عصمت.

موظف ومتدين:

وقد تبين أن هذا الأخ الكريم هو متدين كان يكتم إيمانه، وذلك أمر لازم لمن يشغل وظيفة كبيرة في العهد الشيوعي السابق، لأنه إذا عرف أنه متدين وجب عزله حسب الدستور الإلحادي الذي يوجب على موظفي الدولة أن يكونوا ملحدين ملتزمين، وإذا ثبت على أحدهم أنه دخل معبداً للصلاة سواء أكان ذلك المعبد كنيسة أم مسجداً فإنه يفصل من وظيفته. ولكن عندما أعلن الشيوعيون إفلاس الشيوعية، وتخليهم عن الإلتزام الدستوري بها أعلن بعض الموظفين من أبناء المسلمين بالفعل والقول التزامهم بالدين الإسلامي الحنيف.

قال محمد أمين: كان جد لي اسمه (برل محمد بن شير محمد) قد حج ١٥ حجة وذكر أن لهم رباطاً في مكة المكرمة وآخر في المدينة المنورة، وأنه هو نفسه كان قد حج في عام ١٩٦٥ م مع بعثة الحج السوفيتية مع مفتي طشقند آنذاك (محمد قربان).

ثم تحدث عن تأسيس جمعية خيرية إسلامية باسم (شركة الثواب) لجمع التبرعات من المسلمين وإنشاء مدرسة إسلامية في مدينة أوش وتبرع هو ـ كما يقول ـ بخمسين ألف روبل مع راتب شهر واحد، كما تبرع محافظ مدينة (أوش) بخمسين ألف روبل وراتب شهر أيضاً،

وراتبه ٣٥٠٠ روبل ويساوي ذلك ٧٥ دولاراً أمريكية بالصرف الحر وهو راتب كبير لأن وظيفته كبيرة وهو قديم في الوظيفة، كما قدم بعض المسلمين لهم شيئاً من التبرعات.

وقد شجعناه على ذلك وأخبرناه أن رابطة العالم الإسلامي سوف تسهم في المشروع بعد البدء به.

ثم أمر رئيس المطاعم باحضار المأدبة التي لا ندري أنعتبرها مأدبة غداء أم مأدبة فطور ثانٍ فالساعة تقارب التاسعة والنصف، ولم تكن مقررة من قبل، وقد خشينا أن يحين موعد قيام الطائرة ونحن هنا لم يقبل الموظفون حتى تسلم حقائبنا لذا طلبنا منهم أن يسألوا الموظفين عن موعد قيام الطائرة بالضبط فأخبرونا أنهم لا يعرفون ذلك واعتذروا عنه بنقص وقود الطائرات، والإضطراب الإداري نتيجة لهذه المرحلة الانتقالية من الشيوعية إلى الرأسمالية.

كانت المأدبة سخية دسمة، كان عمادها الخبز واللحم ثم حساء الأرز قد طبخوا معه كرات من اللحم المفروم اللذيذ الطعم، ثم حساء فيه (شوش بره) المحشوة باللحم الدسم، إلا أنها ملساء تنطلق في الحلق بدون استئذان من الأسنان، وأحضروا أيضاً تيناً مجففاً وخضرات فيها بقدونس وله أهمية في هذه البلاد في هذا الفصل من السنة الذي هو فصل الربيع، ولكن الخضرات التي بذرت مع حلوله لم تدرك بعد، إلا ما كان منها مزروعاً في بيوت محمية من اللدائن، ويكون غالياً في العادة، وقد أحضروا أشربة غازية متنوعة مع ماء معدني فيه غاز. وتبين أن هذه الغرفة التي نحن فيها هي غرفة مرؤسه المسئول عن مطعم المطار.

وقد استرحنا مع الإخوة المودعين ومع الأخ رئيس المطاعم في هذه الغرفة التي اجتمع لنا فيها مع الحديث الشيق عن شئون متفرقة من شئون هذه البلاد الطعام الحار الدسم والدفء والشاي اللذيذ.

أردنا التقاط صورة تذكارية مع الأخ محمد أمين رئيس المطاعم، فأجاب إلى ذلك ولكنه خلع القبعة الرسمية التي كانت على رأسه، لأنها شعار العاملين الشيوعيين فالتقطنا الصورة.

دخل أحد الأشخاص من ذوي الأقدار فسلم على القوم مصافحة فرفعوا كلهم أيديهم كمن يدعو بدعاء قصير ثم مسحوا بها وجوههم فعل الذي يفرغ من الدعاء.

وهذه عادة لهم في بلاد ما وراء النهر شاهدناها منهم وهي أن يرفع المسلم عليه يده لحظات كالذي يدعو بشيء ثم يمسح وجهه ببياض كفيه، وذلك بسرعة وبطريقة شكلية، وكانوا يفعلون ذلك إذا سلمنا عليهم وبخاصة المتدينين منهم كما سبق.

وقد طال لبثنا في الغرفة مما جعل الأخ بلال قاري إمام جامع أبي حنيفة وكان من المودعين يتلو آيات بينات من كتاب الله، فكانت تلاوته متقنة مجودة، وربما كانت هذه التلاوة من المرات القليلة التي يتلى فيها القرآن في أحد المكاتب الرسمية إن لم تكن الأولى.

وقد لاحظت أن لفظه ببعض الكلمات والألفاظ القرآنية أثناء القراءة يقرب من اللفظ التركي مما يؤكد ما هو معروف من وحدة الأصل بين أتراك الأناضول وأهل هذه البلاد.

وقد أراد أحدنا دخول مرحاض الحمام فأحضروا له ماء حاراً في إبريق، ربما كان ذلك لعدم وجود الماء الحار في المرحاض .وهذا المرحاض لا بأس به بالنسبة إلى حال أمثاله في البلاد الشيوعية التي لا يهتم أهلها بمحلات قضاء الحاجة في المعتاد.

ولاحظنا أن أنابيب المياه ظاهرة مثلما عليه الحال في حمامات فندق أوش الذي خرجنا منه في الصباح مع أنه فندق جديد جيد.

ولعل لكون الأنابيب تمدد خارجة عن الجدار علاقة بحالة الجو لأن درجة الحرارة إذا تدنت إلى ما دون الصفر كثيرا قد تتجمد المياه في الأنابيب، وقد يكون ذلك ابتغاء السهولة في اصلاحها من دون تكسير حيطانها وهذا هو المعمول به في الهند مع أنها بلاد حارة.

كان اخواننا يأملون أن نسافر إلى بشكك مع طائرة قادمة من موسكو تصل في التاسعة والنصف، غير أنها مرت فوق المدينة ولم تنزل في المطار، بل استمرت في طريقها إلي بشكك فلما أيسوا من ركوبنا معها أحضروا الطعام مرة ثانية وقال أحد الإخوة الذين طعموا شيئاً من طعام الفطور قبل الخروج من الفندق في الخامسة فجراً: إن هذا يكون لهم بمثابة الفطور الرابع، أما بالنسبة إليَّ فإنه الفطور الثالث أو الغداء الثاني، وكان هذا الطعام مؤلفاً من العسل الوطني الصافي الخالي من الشوائب ومن البسكويت والفستق والجوز والخبز ثم الشاي.

وعلى ذكر العسل أقول: إنه كثير في بلاد ما وراء النهر كثرة

تسترعي الانتباه وهو رخيص أيضاً إلى درجة تثير الاهتمام. فمثلاً ذكروا لنا أن مثل هذا العسل الذي أحضروه يباع الكيلو الواحد منهم بـ ١٢٠ روبل ويساوي ذلك أقل من دولار واحد، أما الأنواع الفاخرة من العسل التي يعرفونها هم أكثر من غيرهم فبالغوا في سعر أغلاها بأنه قد يصل إلى ما بين ٣٠٠ و ٤٠٠ روبل للكيلو وهذا الثمن الأعلى وهو (٤٠٠) روبل لا يساوي إلا أقل من ٣ دولارات للكيلو.

الغداء الثاني أو الثالث:

في الحادية عشرة إلا ربعاً أحضروا طعاماً طازجاً مؤلفاً من شواء ذبيحة ذبحت لتوها وقد شووه بقضبانٍ حديدية دقيقة، وهو لذيذ الطعم، مثل لحم الغنم في بلاد ما وراء النهر الذي يشيه طعمه طعم اللحم في نجد، ربما كان ذلك بسبب المراعي والأعلاف البرية، وأحضروا مع هذا الشواء بصلاً نيئاً على طريقتهم في احضار البصل النيء أو الثوم مع اللحم المشوي، لأن اللحم عندهم دسم، بل كثير الدسم.

مغادرة أوش:

في الحادية عشرة والربع كان مدير المطار يأتي إلينا في المكتب الذي نحن فيه يخبرنا أن موعد صعود الطائرة قد حان. ثم يصحبنا إلى الطائرة من باب التكريم قبل صعود الركاب.

غادرنا مطار أوش في الثانية عشرة إلا الربع بعد أن لبثنا فيه أكثر من ست ساعات.

والطائرة كبيرة نسبياً جيدة التنجيد وهي من طراز توبو ليف ١٣٤

النفاث من صنع روسي أقرب الطائرات الأمريكية شبهاً بها طائرة بوينغ ٧٢٧.

والطائرة مليئة بالركاب ٩٠٪ منهم من أبناء المسلمين من أهل هذه البلاد التركستانية أو (البخارية) كما يحلو لبني قومنا أن يسموا أهلها المهاجرين في بلادنا وهي بلاد ما وراء النهر، وفيها حولي ١٠٪ من ذوي الأصول الروسية.

ويلاحظ أن منطقة (أوش) هذه مجاورة لوادي فرغانة الذي يشتهر بأن سكانه هم من الأوزبك ولذلك توجد نسبة منهم في منطقة أوش رغم كونها في جمهورية (قيرغيزستان)، وقد اعتبر طائفة من أسلافنا المؤرخين العرب مثل ما يقول صاحب معجم البلدان (أوش) من فرغانة كما تقدم نقل كلامه، وكانت وقعت اضطرابات مؤسفة بين الأوزبك والقيرغيز في (أوش) رغم كون الجميع مسلمين، وأبناء عمومة يجمعهم الأصل التركي القديم.

لم يكن في الرحلة جديد عن رحلة القدوم وهي قصيرة لم تستغرق أكثر من ٣٥ دقيقة، إذ وصلنا مطار بشكك في الثانية عشرة والثلث.

العودة إلى بشكك:

نزلت الطائرة في مطار بشكك الذي يسمى مطار (منص)، ومنص اسم نهر حدثت عنده واقعة صارت جزءاً من التراث الشعبي للقيرغيز الذي يتوارثونه ويفتخرون بما جاء فيه من بطولات.

وجدنا في الاستقبال بعض الإخوة منهم عبد الله بن الزبير وهو

ابن عم لمرافقنا الشيخ حبيب الله قاضي قيرغيزيا بالنيابة بمعنى رئيس الشؤون الدينية فيها بالنيابة.

وقد تكرر عجبنا من كثرة ما شاهدناه من الطائرات الجاثمة في هذا المطار مثل غيره من المطارات التي كانت تابعة للاتحاد السوفيتي وكل هذه الطائرات تملكها مؤسسة واحدة، وبعد إعلان استقلال هذه الجمهوريات عن الاتحاد السوفيتي احتفظت كل واحدة منها بما لديها من الطائرات واعتبرته حصتها من هذه المؤسسة وذلك كثير جداً بالنسبة إليها، ولذلك بقيت أعداد منها جاثمة في مطاراتها لعدم الحاجة إليها من جهة، ولأن وقود الطائرات الذي كان يصل إليها من روسيا قد انقطع، لأن روسيا صارت بعد اعلان سيادتها لا تبيع نفطها إلا بعملة صعبة أو بمقايضته بسلع تحتاجها لا توجد لديهم، وتعذر عليهم استيراد الوقود من الخارج لعدم توفر العملة الصعبة التي يستطيعون أن يشتروا بها الوقود ومشتقات النفط من الأسواق العالمية.

انطلقنا مباشرة من المطار إلى المدينة مع طريق المطار الطويل الذي يبلغ ٣٢ كلم، ولكنه جيد الزفلتة، فيه اتجاهان أحدهما للذاهب والآخر للآيب مفصولاً بينهما بحاجز من قضبان الحديد الضخمة، وقد غرست على جانبيه أشجار التفاح بخلاف طريق المطار إلى أوش الذي غرست على جانبيه أشجار التوت الذي يكثر في تلك المنطقة، حيث يربون عليه دودة القز، وكان المطر ينزل رذاذاً والجو بارداً فهو أبرد من (أوش) كثيراً.

واعترض الطريق طريق آخر فركب جسراً مقاماً عليه مرت فوقه السيارات القادمة مع الطريق المعترض.

قصدنا جامع (بشكك) رأساً من أجل الصلاة فيه مع الجماعة وإلقاء كلمة في جماعة المسلمين حسب ترتيب مسبق. وقد احتجنا للوضوء فوجدنا محلات الوضوء في المسجد واسعة ذات صنابير عديدة للمياه الحارة التي لها وقع لذيذ في هذا الجو البارد وذلك رغم مظهر الإهمال في بعض نواحي هذه المحلات.

ألقيت كلمة في المصلين بعد الصلاة وكان عددهم يزيد على مائتي شخص أبلغتهم فيها تحيات اخوانهم في رابطة العالم الإسلامي واخوانهم المسلمين في بلاد الحرمين الشريفين، وهنأتهم فيها بالاستقلال الذي طالما تطلعوا إليه ولكنهم حرموا منه لآماد طويلة، وقلت: إننا مثلكم لم نكن نحلم بأن تتحسن أحوالكم بهذا الشكل التي هي عليه بل لم يكن أحد من البشر يجرؤ على أن يتنبأ بأقل من ذلك بهذه السرعة العظيمة، وهذا من لطف الله بالمسلمين، ويجب عليكم أن تنتهزوا هذه الفرصة فتعوضوا ما فاتكم وأولادكم فتعلموهم دينهم الإسلامي الحنيف، وترجعوهم إلى أصولهم الإسلامية النقية التي بنت الأمجاد العلمية لهذه البلاد على مدى السنين ويكفي أن يذكر المرء أن بلاد ما وراء النهر التي تعتبر منطقتكم هذه جزءاً منها من الناحية الثقافية والتاريخية قد أسهمت بنصيب ضخم من العلماء الأعلام في كل فنون العلم كالإمام البخاري والترمذي والدارمي في علم الحديث والبيروني والفارابي في العلوم والجغرافيا، والجوهري والفارابي الثاني في اللغة، وابن سينا في الطب.

وأما المؤلفات التي صدرت عن علماء هذه البلاد التركستانية في



المؤلف وهو يتحدث إلى المسلمين في مسجد بشكك الجامع وقام بالترجمة الشيخ محمد حبيب.

سائر العلوم فإنها تعتبر مفخرة حقاً، ولو فرضنا أن عالماً من العلماء، بل أن مثقفاً في أي بلد من بلاد المسلمين أراد أن يخلي مكتبته ـ على سبيل الافتراض من هذه المؤلفات لما أمكنه أن تكون مكتبته عربية من دونها.

وهذا يوجب عليكم أن تعملوا على أن تعيدوا إلى هذه البلاد وجهها الإسلامي المشرق، وأن تسعوا إلى أن تعود مركزاً بل مراكز مهمة من مراكز الثقافة الإسلامية وأن لا تيأسوا من أن يخرج منها علماء أعلام في الثقافة الإسلامية وفي سائر العلوم كما كان عليه الأمر في السابق.

ثم أخبرتهم أن مفتاح ذلك في أول الأمر وآخره هو أن يعتنوا بتربية أولادهم تربية إسلامية خالصة بإنشاء المدارس الإسلامية وتعليمهم ذلك منذ الصغر.

ويجب عليهم في هذه المرحلة أكثر من غيرها التعاون والتسامح والعمل معاً في تحقيق هذه الأهداف لأن هذه المرحلة لها ما بعدها لأنها فرصة تاريخية ثمينة إذا لم يعمل المسلمون على اقتناصها فإنه يخشى أن تفوتهم أو أن يفلت الأمر من أيديهم لا قدر الله، إلى أيدٍ معادية للإسلام تحول بينهم وبين ما يريدون من هذا الأمر.

ومن أهم ذلك العمل بالنصح والإرشاد والحكمة والموعظة الحسنة على جذب إخوانكم المسلمين من المواطنين إلى أداء الصلوات في المساجد جماعة، والاستماع إلى دروس الوعظ والإرشاد، لأن الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام، وهي تنهي عن الفحشاء والمنكر.

ولا يمكن للمسلمين أن يستعيدوا مجدهم الإسلامي التليد إلا إذا عملوا لذلك بكل ما يستطيعون، وذلك كله بحسب الطاقة وقدر الاستطاعة ﴿**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾.

ثم دعوت في آخر كلمتي أن يقدر الله الاجتماع بهم جميعاً مرة ثانية في مكة المكرمة والمدينة المنورة حجاجاً وزواراً لبلاد الحرمين الشريفين.

فأجهشوا بالبكاء عندما وصلت في كلامي إلى هذه النقطة وكانوا قبل ذلك يبكون في أكثر من مناسبة.

وعندما أنهيت كلمتي جاؤوا مصافحين فكان بعضهم يبكون

ويمسحون دموعهم بملابسي ومنها (الشماغ) الذي أضعه على رأسي.

ومما يبشر بالخير أنني لاحظت أن بين المصلين طائفة من الشبان وليسوا كلهم من كبار السن كما كان عليه الحال عندما زرت الاتحاد السوفيتي في المرة الأولى عام ١٤٠٦ هـ، وكذلك الحال التي رأينا عليها المصلين في أوش فيهم نسبة من الشبان بل والفتيان.

ودعنا الإخوة المحبين الصادقين في المسجد، وذهبنا إلى الفندق للاستراحة، وقد أهدى إلينا بعض الإخوة أشياء مما تخرجه بلادهم من الطيبات منها: العسل النقي، وجوز من (القعقع) أو عين الجمل أخضر طري، وشربنا الشاي الذي صنعناه بأنفسنا واسترحنا قليلاً.

وقد صادفنا في الفندق أحد الوزراء في هذه البلاد واسمه (شرتن يوسف علي) وزير الثقافة وهو كبير السن، وذكر لنا أنه كان في القاهرة قبل قليل من الوقت، كما صادفنا السفير التركي الجديد في هذه الجمهورية (قيرغيزستان)، وهو يعرف العربية جيداً، تحدثنا معه لبعض الوقت، وذكر أنه عضو في البرلمان، وأنه من أتراك جورجيا أي الذين كانوا موجودين في جورجيا في القوقاز ونفاهم (ستالين) عنها لعدم إخلاصهم للاتحاد السوفيتي كما قال، فهرب أهله إلي تركيا، وقد لاحظنا أن حكومة تركيا بادرت إلى فتح سفارات وتعيين سفراء لها في بلاد ما وراء النهر هذه إضافة إلى أذربيجان، وذلك من واقع الأصل التركي البعيد الذي تشترك فيه معهم، والصلة اللغوية القوية عن طريق اللغة التركية الأم وهي اللغة القديمة التي تفرعت منها اللغات أو اللهجاتَ التركية الحاضرة كالقيرغيزية لغة أهل هذه البلاد، والأوزبكية لغة جيرانهم أوزبكستان والقازاقية لغة القازاق.

وهذه اللغات أو اللهجات تختلف عن اللغة التركية العثمانية التي

يتكلم بها الأتراك الآن في الجمهورية التركية التي عاصمتها أنقرة ولكنه اختلاف لا ينفي وحدة الأصل فعند الضرورة يمكنهم أن يتفاهموا فيما بينهم بألفاظ وتعبيرات مشتركة، وإن كان بعض تلك الألفاظ أو المصطلحات قد تغير مفهومه بسبب عامل الزمن والانفصال الثقافي نتيجة للحكم الشيوعي الذي اسدل ستاراً كثيفاً على بلاد ما وراء النهر وغيرها من بلاد المسلمين ذوي الأصول التركية فمنع الخروج منها والمجيء إليها.

وفي هذا الصدد يحكي الأتراك نكتة تدل على ذلك حدثت عندما قام أحد الزوار من كبار المسئولين في بلاد ما وراء النهر هذه يخطب في تركيا فذكر ما حققته بلاده في ميدان الصناعة فقال: قبل خمسين سنة لم يكن يوجد عندنا إلا (كرخانة واحدة) والآن يوجد لدينا أكثر من مئتي (كرخانة).

فضج مستمعوه بالضحك، إلا من استطاع منهم أن يكضم ذلك، ويعجب في سره من جهله، لأن (الكرخانة) هي في الأصل التركي المصنع كما قصدها الخطيب، ولكنها صارت في الغة التركية العثمانية المعاصرة تعني (ماخور) أي بيت البغاء.

هذا وقد بادرت ايران أيضاً إلى خطب ود هذه الجمهوريات المسلمة مستغلة جهلها بالفرق بين المذهب الشيعي والمذهب السني نتيجة لجهل أهلها العام بالدين.

وبلادنا أولى الناس بالإسراع إلى توثيق العلاقات الثقافية بل وسائر العلاقات مع هؤلاء الإخوة المسلمين الذين صبروا وصابروا على دينهم، ولم تؤثر كافة الضغوط الشيوعية الإلحادية في طمس هويتهم الإسلامية وانتمائهم إلى أصولهم الإسلامية العريقة لأننا نحن الذين

شرفنا الله تعالى بأن جسنا حملة دينه، وسدنة بيته، وجعل بلادنا المقدسة مهوى قلوب المسلمين، وقبلة صلواتهم ومعقد آمالهم.

ولو استمعنا إلى لغاتهم التي يتكلمون بها في الوقت الحاضر على اختلافها لوجدنا أنها تحفل بالكلمات والتعبيرات والجمل العربية أكثر مما تحفل بذلك شقيقتها اللغة التركية العثمانية، وما يسرنا أن حكومتنا وفقها الله قد أعلنت أنها ستفتح سفارات في كل هذه الجمهوريات.

الجولة على المساجد:

كنا على عزم الجولة على المساجد الموجودة في مدينة بشكك وضواحيها التي تحتاج إلي مساعدة وذلك للنظر في تقديم مساعدات عاجلة لها مما نحمل من نقود أمريكية نقدية إلى جانب معرفة المشروعات الكبيرة التي تحتاج إلى إسهام كبير من قبل الرابطة ومنها بعض هذه المساجد، حيث ينبغي أن نعرف ذلك من أجل إرسال معونات على إكمالها إذا طلب أهلها من الرابطة ذلك.

ولذلك لم تمنعنا شدة البرد أو نزول المطر رذاذاً من الجولة، وقد اشتد البرد الآن والساعة قد بلغت الخامسة عصراً عما كان عليه عندما وصلنا إلى مطار بشكك في الثانية عشرة والثلث حيث ذكروا أن درجة الحرارة فيه عشر درجات.

وفي الخامسة والنصف عصراً، كان الوقت يبدو كأنما هو وقت الظهر مع أن الشمس غائمة والسحاب مطبق، وقد ارتدينا جباباً بخارية إذ لم نكن نحمل معاطف من بلادنا مع وجودها عندنا ظناً منا أن الجو

سيكون ربيعياً في منطقة ما وراء النهر هذه عندما نصل إليها، فصارت تلك الجباب البخارية ـ كما نعرفها في بلادنا نافعه لنا مانعة من البرد مع كونها لباساً من ألبسة المسلمين وليست كالمعاطف التي هي من ألبسة غير المسلمين في الأصل وإن كانت الآن صارت لباساً لهم ولغيرهم فانتفت عنها صفة كونها لباساً للكفار خاصة.

مسجد دوكولتاش:

ويقع في محلة تسمى (محلة آق) و(الدوكولتاش) هم طائفة من الناس، ينتمون إلى الإينور سكان تركستان الشرقية التي عاصمتها أورومجي، وهي واقعة الآن تحت حكم الصين الشعبية ويسميها الصينيون الآن مقاطعة (شنجاك).

وكانت المحلة قبل ذلك ريفاً خالياً من البيوت والسكان، فنزل فيها قوم من (الدوكولتاش) ثم قاموا على بناء هذا المسجد الذي هو المسجد الوحيد في الحي، بل هو أول مسجد يقام فيه.

وسكان الحي هذا كلهم مسلمون، والمراد بذلك أنه ليس بينهم أحد من الأوروبيين المهجرين الذي أغلبهم من الروس وفيهم الأوكرانيون والأرمن والروس البيض وغيرهم.

ومن المؤسف أن المرء يضطر إلى السؤال عن سكان الأحياء أمسلمون هم؟ مع أن هذه بلاد مسلمة عريقة في الإسلام، ولكن غزاها أولئك الكفار المهجرون أو المهاجرون كما سبق.

ولكن كان المسلمون مغلوبين على أمرهم إذ بدأ التهجير في عهد الاستعمار القيصري الروسي، ثم اشتد وتكاثف في عهد الشيوعية.

ومن المؤسف أيضاً أنه عندما أعلن الاستقلال، بدأ الروس والأوروبيون يغادرون البلاد بأعداد قليلة، وسر هذا طائفة من المسلمين، ولكن بعض الذين ينظرون إلى الأمر بمنظار مادي بحت معلنين أن ذلك ليس في صالح البلاد في الوقت الحاضر، لأن هؤلاء الكفار هم الذين يسيّرون دفة الإدارة، وبخاصة فيما يتعلق بالصناعة والمصانع وبالعلوم والتقنية، وقد يكون بعض هذا صحيحاً، ولا بأس من الابقاء على بعضهم ممن تدعو الحاجة إليهم حتى يتعلم أهل البلاد ويحلوا محلهم، غير أننا ينبغي أن نتذكر أن الذين أبقوا البلاد بحاجة إلى هؤلاء الأوروبيين المهجرين أو المهاجرين هم الروس أنفسهم، وكان بإمكانهم على مدى السنين الطوال التي حكموها، وتولوا مقاليد الأمور فيها أن يمرنوا أهل البلاد ويدربوهم حتى يخدموا بلادهم قبل الاستقلال وبعده.

وجدنا جماعة من المسلمين من سكان مسجد (محلة آق) على رأسهم متولي المسجد الأخ (ضياء نظام الدين) والمراد بالمتولي رئيس الجمعية التي تشرف على المسجد، وإمام المسجد الأخ إبراهيم مخدوم الذي تحدث إلينا فأخبرنا أنهم يؤدون الصلاة حالياً أي حتى نهاية بناء المسجد في مكان مؤقت تم تجهيزه في الأصل ليكون مدرسة إسلامية بلغ طلابها الآن ٨٠ طالباً يتعلمون قراءة القرآن الكريم ومبادىء الدين الإسلامي. وأخبرنا الأخ (ضياء نظام الدين) متولي المسجد أن أرض المسجد منحت لهم بالمجان من بلدية بشكك وأنهم صرفوا على عمارة المسجد حتى الآن (٣٠٠) ألف روبل، وهذا مبلغ كبير بالنسبة إلى دخلهم المحدود، غير أنه لا يزيد على ألفي دولار بالصرف الحالي للدولار بالنسبة للروبل الذي يبلغ ١٥٠٠ روبلاً للدولار الواحد. هذا

مع أن المسجد قد وقف على السقف وأنجز جزء لا بأس به منه.

وقد أخبرونا أنهم يحتاجون الآن إلى مبلغ (٤٥٠) ألف روبل فأعلنا لهم تبرع الرابطة بثلثمائة ألف وخمسة وسبعين ألف روبل وهي ألفان وخمسمائة من الدولارات الأمريكية التي سوف ندفعها نقداً، لأن ذلك أنفع لهم من الصك أو الحوالة التي لا تصرف إلا في المصارف الرسمية.

وعندما أعلنا لهم تبرع وفد الرابطة بهذا المبلغ سروا من ذلك وأظهروا تأثرهم وامتنانهم لا سيما عندما قال لهم أحد الإخوة: إن هذه نقود مباركة لأنها من مكة المكرمة، وإن حصولكم عليها فأل حسن لحصولكم على جميع ما يحتاجه مسجدكم من نقود لإتمام بنائه إن شاء الله.

اخترقنا شوارع واسعه مستقيمة من ضواحي مدينة بشكك الحديثة المشجرة مثل أغلب أحياء هذه المدينة التي هي جيدة معتنى بها ترفرف عليها الأشجار الضخمة الريانة الفروع، وتتميز بالسعة والاستقامة، وربما كان مرجع ذلك إلى كون المدينة ليست عريقة عراقة مدينة طشقند مثلاً، وإنما كانت في القديم بلدة صغيرة محدودة السكان.

خرجنا إلى منطقة ريفية تبعد عن حدود بشكك ٨ كلم، ومع ذلك هي معتبرة من أحياء المدينة ووقفنا في مكان يسمى (علم الدين) على اسم نهر صغير يأتي من جهة الجنوب الشرقي من جبال هناك فيجري في هذا المكان.

أما الاسم العام للضاحية فإنه الضاحية الغربية أو (لبكين تونكاي).

وهذا الحي مختلط السكان بين مسلمين وروس، وقد زرناه من أجل مسجد يقام فيه هو أول مسجد في هذه الضاحية اشترى الإخوة المسلمون قطعة من أرض ريفية مزرعة بالخضراوات هي أرض المسجد هذا، ولاحظت أنهم قصروا حائطه من الجهة التي تلي الشارع، وذلك بسبب وجود برج كبير للكهرباء فيه ذكروا أن الحكومة قالت إنه يصعب نقلها من أجل المسجد في هذه الظروف الاقتصادية الحاضرة.

وعندما وصلت إلى المكان ورأيت الإخوة من أهل الحي والعاملين في المسجد عرفت أن اليوم بارد رغم معرفتي بذلك مما أحسه من شدة البرد، وذلك لكونهم قد لبسوا الألبسة الشتوية الثقيلة لأنهم لبسوا معاطف الصوف الثقيلة وحتى الأحذية قد لبسوا منها أحذية ذات أعناق جلدية عالية تصل إلى قرب الركبة وتلبس للوقاية من الرطوبة والثلوج.

وقالوا لنا: إن هذا البرد في مايو غير معتاد فما عهدناه هكذا منذ سنوات، وأما في العام الماضي فإن الجو في مثل هذه الأيام كان ربيعياً جميلاً ليس فيه أي شيء من البرد.

وقد تذكرت أن البرد عندنا في هذا العام قد تأخر ذهابه أيضاً وإن لم يكن في شدة البرد عندهم. قالوا: والليلة من المحتمل أن يسقط الثلج لأن درجة الحرارة الآن منخفضة ومن المحتمل أن تتدنى إلى درجة الصفر في الليل فينزل الثلج.

كانوا يقولون ذلك والمطر ينزل رذاذاً والريح تهب باردة تخترق

الملابس الثقيلة حتى لا يحس المرء بثقل في وزنها. واللثق وهو الماء مع الطين يشمل الأرض كلها لا سيما انها كانت منطقة زراعية طينية قبل أن تتخذ مسجداً، ولا تزال الأماكن المزرعة بالخضار موجودة بجانبها.

وجدنا بين المستقبلين عند المسجد الأخ (عبد الجبار أحمد) إمام المسجد، والأخ (أحمد أمين) متولي المسجد، وقد أخبرنا المتولي أن بناء المسجد سيكلفهم مليون روبل وأنهم أنفقوا حتى الآن ٣٥٠ ألف روبل.

أما إمام المسجد الأخ عبد الجبار فأخبرنا أن عدد المسلمين في هذه الضاحية يقدر بخمسة آلاف نسمة، وأن صلاة العيد الفائت التي أقيمت في هذا الموقع حضرها أكثر من ألف مصلٍ وأنهم الآن يؤدون صلاتهم في مكان مؤقت قريب من المسجد أرونا إياه وهو غير واسع.

مسجد المصطفى:

طلب منا القائمون على هذا المسجد وكذلك الجماعة المقيمون حوله ممن سيصلون فيه أن نسميه لهم فاقترحنا أن يسمى (مسجد المصطفى) فهذه التسمية مناسبة وليست شائعة في تسميات المساجد، وقد سروا بذلك، وذكروا أنهم سيستعملون هذه التسمية منذ الآن وبخاصة على الأوراق الرسمية التي منها أوراق التبرعات وايصالات النقود التي تعطى للانفاق منها على المسجد، وقد أعلنا لهم تبرع رابطة العالم الإسلامي لهذا المسجد تبرعاً عاجلاً بألفين وخمسمائة دولار أمريكي.

وقد استكثروا ذلك وشكروه لأنهم لم يكونوا يظنون أنهم

سيحصلون عليه بهذه السهولة، ولكونهم لبثوا دهراً قبل أن يجمعوا مثل هذا المبلغ الذي بدأوا به بناء المسجد مع أن المبلغ كله لا يعتبر كثيراً بالنسبة إلينا ولكن مستوى الرواتب والأجور منخفض كثيراً عندهم، وعملتهم لا تزال هي الروبل قد والت الانخفاض إلى درجة أصبحت رواتبهم إذا قيست بالصرف الحالي للدولار تبدو ضئيلة جداً، والأسعار ترتفع بانخفاض العملة مع أن الأجور لا ترتفع بمقدار ارتفاع تكاليف المعيشة ولا إلى ما يقرب من ذلك مما جعل الكثير منهم لا يستطيعون أن يجدوا ما يتبرعون به لأن مدخولهم لا يكفي للعيش الضروري لهم.

وقد أخبرناهم أنه يمكنهم أن يكتبوا الينا في رابطة العالم الإسلامي إذا أنفقوا هذا المبلغ وما سوف يجمعونه بعد ذلك، ولم يكف للمسجد حتى ننظر في أمر إرسال مساعدة إضافية لهم، وقلنا لهم: إن من المهم أن تبنوا مدرسة تلحق بالمسجد من أجل تعليم أولادكم مبادىء الدين الإسلامي وتلاوة القرآن الكريم فذكروا أنهم قد خططوا لذلك وأرونا قطعة أرض بجانب المسجد ذكروا أنهم خصصوها لإقامة مدرسة عليها في وقت لاحق.

لم نستطع مواصلة الجولة بسبب البرد والمطر، وقد أظلم الجو لقرب المغرب فعدنا إلى الفندق فكان جميلاً فيه أن يكون دفيئاً وليس فيه جميل غير ذلك إلا رخص سعره إذا كان بالعملة المحلية وهي الروبل، وهو فندق بشكك الذي نزلنا فيه سابقاً. وموضوع الطعام الحلال هنا مشكل لأن القائمين على الفنادق هم من الشيوعيين ومن الروس ولا يذبحون ذبحاً شرعياً، وحتى إذا لم يكن هناك لحم فإنهم

يدخلون شحم الخنزير في كثير من الأطعمة، لذلك ينهانا اخوتنا عن الأكل في الفنادق ويسعون هم في احضار الطعام من بيوتهم إذا لم يدعونا إلى بيوتهم بالفعل.

وفي هذه الليلة وجدنا أن أحدهم أحضر الى الغرفة زجاجات كبيرة مليئة بلبن الخيل أهداها إلينا وهم يحبون البان الخيل، يشربونها مع الطعام ويعتقدون أنها مفيدة جداً.

وهذا أمر معروف عن الأقوام ذوي الأصول التركية وبخاصة في البلدان الشمالية الباردة مثل بلاد تتارستان القريبة من موسكو وسيبيريا، وأذكر أنهم وضعوا أمامي زجاجات من لبن الخيل أمام المنصة الرئيسية للمؤتمر الإسلامي الموسع الذي عقد في أوفا عاصمة بشكيريا، وقد ذكرت ذلك في كتاب «الرحلة الروسية».

وبعد ذلك لم تكن موائدهم في تلك البلاد تخلو من لبن الخيل وهم يسمونه (قميز) يسارعون إلى شربه ويتنافسون في ذلك، وقال أحد كبارهم: ان عندنا مثلاً يقول لذات الدنيا في ثلاث كلها قافية ـ أي تبدأ بحرف القاف وهي (قميز) و (قاز) و (قز) أما القميز فلبن الخيل وأما القاز فلحم الأوز، وأما القز فالزوجة الشابة الجميلة.

ثم جاء العشاء من بيت الأخ عبد المجيد قاري فيه لحم الغنم الدسم اللذيذ والحساء التقليدي في هذه البلاد الذي لا بد منه في ضيافة الطعام الحار عندهم وهو قطع من لحم الغنم الكثير الشحم تكون مع شعيرية ويقدمونه في سلطانيات كبيرة من الصيني أو الخزف.

ومع الطعام الذي جاء من بيت الأخ عبد المجيد هذه الليلة شطائر من الخبز بينها اللحم الناضح معه البصل الأخضر، ولا بد

عندهم من تقديم البصل الأخضر مع اللحم الدسم، وبعضهم يقدم معه أيضاً الثوم ليساعد على هضمه.

وهذه طريقة ثبت علمياً أنها مفيدة وأن البصل والثوم يساعدان على الهضم، ويبددان الدسم بمعنى أنهما يقيان الشرايين من شر شحوم الدم التي قد تتسرب إلى باطن الشريان وهي المسماة بالكلسترول.

ومع ذلك سلطتهم الخضراء وهي الخيار والطماطم يأتون بها غير مقطعة ولا مخلوطة، وإنما يأكلون منها أكلاً كما يأكلون الفاكهة وهم يعتبرون الطماطم هنا من الفاكهة لكونها عزيزة المنال عندهم في أوقات البرد الطويلة، إذ لا توجد إلا إذا كانت مزروعة في مزارع محمية من البرد فتكون غالية، ولا توجد عندهم وسائل لحفظ الخضار ولا نقود صعبة متوفرة يستطيعون أن يستوردوا بها الطماطم وغيرها من الخضار الطازجة من البلاد الدفيئة أو الحارة.

أما خبزهم الغليظ الضخم فإني سميته (عدو الجوع) لأنه كبير غليظ مشبع ـ ولا بد منه مع الطعام إلا أن لهم طريقة في تقديمه وهو إعادة تقديمه مرة بعد أخرى ولو بدا قديماً ناشفاً، قد اعتادوا على ذلك لبرودة بلادهم التي لا يسرع الفساد فيها إلى الخبز ولكون خبزهم يبقى مدة طويلة لا يفسد فيها.

ولقد رأيت في سمرقند خبزاً خاصاً يصنعونه فيها يسمونه (خبز سمرقند) ذكروا أنه يبقى سنة كاملة لا يفسد وقد صورته وذكرت أمره في كتاب: «في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر»، عند الكلام على زيارتنا لمدينة سمرقند.

يوم الأحد ١/١١/١٤١٢ هـ ـ ٣/٥/١٩٩٢ م:

فطور بالرز البخاري:

أحضر الأخ الشيخ (تيمور باي) طعام الإفطار في وقت مبكر من الصباح من بيته وذلك على عادتهم التي تقدم ذكرها ولمحبتهم في إطعام إخوانهم، فكان الطعام الذي أحضره الشيخ تيمور أرزاً بخارياً يطير بخاره لحرارته في هذا الصباح الثالج الذي نبصر فيه الثلج ينزل من خلال النافذة الزجاجية وإن كان خفيفاً فقد بدأ يتساقط منذ العاشرة مساء وحتى الآن.

وقد ذكرني منظر الأرز البخاري الذي أحضره الشيخ من بيته بمنظر (الكبسة) التي كنا نطبخها في البرد ونأكلها وهي الأرز معه اللحم، إلا أنه طبخ لحم الغنم الذي أحضره منفصلاً عن الرز، ومع هذا الطعام لبن الخيل وخبزهم الذي ذكرته.

وكنت أرقب تساقط الثلج حينما أزحت ستارة النافذة القماشية في السادسة غير أنني لاحظت أن المطر صار يتساقط في السابعة بديلاً من الثلج، ثم عاد الثلج للسقوط، فقالوا: إن سبب ذلك اختلاف الريح فإذا جاءت ريح باردة نزل الثلج وإذا هبت ريح أقل برداً منها نزل المطر إلا أن ذلك كله حول درجة الصفر.

في التاسعة صباحاً كنا نتحرك لنبدأ جولة جديدة على المساجد في ضواحي مدينة بشكك وكنا واعدنا الإخوة على أن تكون الجولة في الثامنة غير أن تأخر نائب قاضي قيرغيزستان أخينا الشيخ محمد حبيب الله أخرنا إلى التاسعة حيث انطلقنا وهو معنا، ومعنا الأخ تيمور باي بسيارته الصغيرة التي هي من طراز (لادا) الصغير الحجم وهي كسيارة (فيات) الإيطالية إن لم تكن هي هذه السيارة الإيطالية في الأصل إلا أن الروس طوروها من حيث القوة واحتمال البرودة، وإن لم يزيدوا من حجمها وزيادة استيعابها للركاب.

وهذه تسمية روسية معناها (حي باولو باكا) الجديد فنوا بالروسية جديد و (باولو باكا) رجل روسي نسب هذا الحي إليه.

ومع ذلك فإن سكانه لم يكونوا كلهم روساً، بل إن فيه أخوة لنا من الذين أجلاهم الروس عن بلادهم الأصلية إلى هذه البلاد القيرغيزية، وهم جماعة من الأتراك المهجرين الذين كانوا يسكنون على الحدود ما بين جورجيا وجهة حدود تركيا اتهمهم الروس في عهد (ستالين) بأنهم مالوا مع الألمان إبان الحرب العالمية الثانية فأجلوهم عن ديارهم بالقوة إلى هذه المنطقة.

ويساكنهم في هذا الحي إخوة من المسلمين من القيرغيز.

ويقع هذا الحي جهة الشمال الغربي من مدينة بشكك على بعد ٩ كيلو مترات.

ذهبنا إليه مع شارع واسع من شوارع المدينة تسير فيه أعداد لا بأس بها عدداً من سيارات الركوب الصغيرة التي تعتبر كثيرة هنا بالنسبة إلى مقاييس كثرة السيارات وقلتها في هذه البلاد، وإلا فإنها قليلة أقل منها في شوارع البلاد الحرة في اقتصادها حتى ولو لم تكن بلاداً غنية.

وتنتشر الإشارات الضوئية في شوارع هذه المدينة، كما يوجد شرطة المرور يسيرون السيارات بإشارة من أذرعهم كما كان عليه الحال القديم في بلادنا وتجاوزنا ذلك إلى الإشارات الضوئية وإلى الأنفاق والجسور في ضواحي المدينة.

وعلى ذكر الأنفاق والجسور أقول إنني لم أرَ في هذه المدينة إلا نفقاً واحداً قصيراً غير بعيد من فندقنا، وأما الجسور فلم أرَ أيضاً إلا جسراً واحداً في طريق المطار من المدينة، وقد امتلأت الشوارع بمناقع المياه المتخلفة من المطر.

وجدنا جماعة كبيرة من المسلمين سكان الحي في انتظارنا رغم المطر والثلج الخفيف على رأسهم إمام المسجد الأخ بولات مظفر ومتولي المسجد (واصب كولوش)، وقد أخبرونا أن الإدارة المحلية منحتهم أرض المسجد بالمجان.

ثم دخلنا إلى داخل مبنى المسجد الذي نصبوا أخشاب التسقيف له، ولم يصبوا سقفه بعد وهو من الإسمنت المسلح، إلا أنه غير واسع مع أن المبني منه لا يزيد على ١٢ في ٢٠ متراً.

الإفطار الثاني:

كان الإخوة هؤلاء قد علموا بموعد مجيئنا وأنه قد يكون مبكراً

وهم يعرفون أن الفندق ليس فيه طعام حلال، لذلك فرشوا السفرة فوق منصة تكسير الحديد ووضعوا الطعام من الخبز والبيض والعسل فوقه تحت المطر والثلج، ووقفنا نطعم من طعامهم تحت الثلج الخفيف وفوق اللثق الذي هو الماء والطين لأن الأرض بطبيعتها طينية. وكان هذا لنا فطوراً ثانياً. وعندهم عادة متبعة وهو أنه لا بد للضيف من أن يأكل من الخبز ولو قليلاً، والسخاء بالطعام وتكرار عرضه طريقة عرفناها عن هؤلاء الإخوة التركستانيين على اختلاف مواطنهم من تركستان وبخاصة في تركستان الشرقية والغربية.

الثلج في الفنجان:

هذا العنوان ليس من عندي ولكنه للأخ الأستاذ محمد محمود حافظ المدير العام للإعانات والمشاريع في الرابطة ورفيق السفر في هذه الرحلة، فقد كنا نحمل أكواب الشاي التي هي كالسلطانيات الصغيرة وإذا بالثلج يسقط في فنجانه فقال لي يسترعي انتباهي: لقد وقع الثلج في فنجان الشاي.

وكان ذلك صحيحاً إذ وقعت حبات من الثلج صغيرة في الفنجان الذي كنت أشرب منه وذلك أنه هبت ريح باردة فنزل الثلج بديلاً من المطر، إلا أن نزوله كان خفيفاً.

هذا وقد أحضر القوم بعض أولادهم معهم الذين يدرسون في فصل دراسي ـ فكان هذا الاجتماع بالنسبة إليهم مناسبة مشهودة وقد نسي الجميع البرد والمطر والوحل في الأرض بحيث أن الواحد منا إذا أراد أن ينْتقل من المكان سارع إليه واحد أو اثنان منهم لمعاونته على عدم الانزلاق في هذه الأرض الطينية اللزجة أما هم فقد احتاطوا لذلك



الثلج والشاي في ضواحي بشكك

ولبسوا أحذية طويلة أو لنقل على اللفظ الصحيح أخفافاً ـ جمع خف ـ عالية الأعناق مصنوعة للسير بها في الوحل والمطر.

كانوا يحدثوننا ونحن نشرب الشاي وقوفاً حديثاً مؤثراً عن كيفية البدء في بناء هذا المسجد الذي بدأوا فيه رغم ضيق ذات اليد فذكروا أن هذا الحي (نوا باولو باكا) تقطنه أغلبية روسية غير مسلمة ذكروا أن عددها يبلغ ٥٨٪ وأن المسلمين فيه هم ٣٠٠ أسرة، إلا أن حالتهم المالية ضعيفة لذلك استعانوا بأبناء المسلمين الذين في السلطة فمنحتهم البلدية الأرض بالمجان، وحصلوا من عمدة الحي وهو من

أبناء المسلمين على ٢٠ ألف روبل مساعدة لهم على بناء المسجد.

وهذا مبلغ كبير عندهم يستحق التنويه به لقلة الدخول في بلادهم وإلا فإنه لا يزيد على مائة وثلاثين دولاراً، ومع ذلك هو مبلغ سخي حقيقة، ثم جمعوا ما يقرب من عشرين ألف روبل أخرى، وبدأ العمل به، ومع ذلك هم خائفون لأنهم أنفقوا كل ما لديهم، ولم يبق لديهم أمل في جمع مبالغ أخرى، ولا في وجود المتبرعين، فقلت لهم: إن الله سبحانه وتعالى قد علم صدق نياتكم فأرسل إليكم إخوانكم من مكة المكرمة ليطلعوا على جهودكم الطيبة ويعرضوا عليكم أن تقبلوا منهم تبرعاً يكفيكم لإكمال بناء المسجد وهو ثلاثة آلاف دولار أمريكي ويعادل ذلك ٣٥٠ ألف روبل، فهل يكفي؟

فضجوا عند ذلك بالتكبير، واغرورقت عيون بعض المسنين منهم بالدموع، وما كادوا يصدقون ذلك لولا أن كررناه عليهم وبلغاتهم التي يفهمونها عن طريق المترجم، هذا وقد طلبوا منا أن نسمي مسجدهم هذا باسم يتميز به فأسميناه مسجد (مكة المكرمة) فوافق ذلك استحساناً منهم لأنه يجمع بين تسمية مكة المكرمة وبين الإيحاء بالامتنان لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة التي قدمت هذا التبرع إليهم.

وتسمية المسجد عندهم هي مهمة لنا نحن الذين سوف نقيد كل ما نراه من أمرهم ثم نعود إلى بلادنا، أما بالنسبة إليهم فإنها ليست ضرورية لأن هذا المسجد هو الوحيد في هذا الحي وهو أول مسجد فيه، وإن كنا نؤمل بل نكاد نجزم أن المساجد سوف تنتشر فيه وفي غيره من بلاد الإسلام هذه في وقت قريب بإذن الله.

وهذا الحي هو جديد لم يكتمل البناء فيه فما تزال بيوته متفرقة

بل متباعدة وهي كلها مبنية بالآجر المطلي بالإسمنت أو بالإسمنت المسلح، وذلك ليس كثيراً.

وهو حي ريفي مفتوح على الريف ويبصر منه المرء وهو واقف فيه جبالاً قد غطتها الثلوج أخبرونا أنها من سلسلة جبال (تيان شان) الشهيرة التي تقسم منطقة تركستان الشرقية وقد وصفتها عندما مررنا فوقها بالطائرة ونحن ذاهبون من مدينة أورومجي عاصمة المقاطعة إلى مدينة (كاشغر) المدينة التاريخية المشهورة التي ذكر المؤرخون أن قتيبة بن مسلم افتتحها في عام ٩٦ هجرية، وذكرت ذلك في كتاب «في مهد الترك».

لقد كان المنظر جديراً بالتأمل ولذلك بقينا عندهم رغم البرد والمطر، فعواطفهم الجياشة وتطلعهم إلى إقامة أول مسجد طالما تطلعوا إليه في حيهم، ولم يحظوا به في السابق وها هم الآن يأمنون من الخوف من توقف العمل فيه لعدم النفقة، وهذه الجبال الثالجة المطلة على المنطقة، والمائدة المنصوبة تحت الندى كل ذلك جعلنا نتلبث عندهم.

ثم ودعناهم بعد أن دعونا لهم بأن ييسر الله لهم إتمام هذا البيت من بيوت الله، وأن يقدر لنا أن نراه مرة أخرى وقد ارتفع مناره وأشرق نوره على أرض هذه الضاحية لعاصمة من عواصم الإسلام.

شارع الفأس السوداء:

عدنا إلى الشارع العام الواسع الذي جئنا منه واسمه (قرا بالتا) ومعناه باللغة القيرغيزية التي هي متفرعة من اللغة التركية القديمة

(الفأس السوداء) لأن (قرا) أسود أو سوداء، وبالتا هي (بلطة) التي تعني الفأس باللهجة المصرية.

وقد غير الروس اسمه الى (طريق فرونزه) إضافة إلى اسم العاصمة الذي سماها به الروس (فرونزه) على اسم قائد لهم اسمه فرونزه ذكروا أنه هو الذي قاد جيش الاحتلال الروسي الذي احتل سمرقند وبخارى وهذه المنطقة.

وقد قدمنا أن مدينة (بشكك) تسمى بهذا الإسم الذي هو اسم وطني قديم ويعني أداة يحرك بها اللبن تشبه الملعقة إلا أنها تكون من الخشب غيره الروس إلى (فرونزه) على اسم القائد المذكور، إلا أنه عندما تراخت قبضة الروس على البلاد قبل أقل من سنة ثم أعلنت استقلالها أعادت حكومتها الإسم القديم إليها (بشكك).

قالوا: وكان على المدينة والٍ من قبل الروس إلا أنه من أهل البلاد أراد تغيير اسمها الروسي من (فرونزه) إلى اسم وطني فأسماها (منص) على اسم نهر حدثت عنده معركة أو معارك سجلت بطولة هؤلاء القوم من القيرغيز، وصارت جزءاً من تراثهم الشعبي القومي، ولكن الروس لم يعجبهم عمله ولم يرضوا عن نزع الإسم الروسي الذي خلعوه على هذه المدينة فعزلوا الرجل وأبقوا الاسم الروسي للمدينة (فرونزه) وكان ذلك في أوائل العهد البريجنيفي، اضافة إلى ليونيد بريجنيف الذي تولى السلطة في الاتحاد السوفيتي وهو الذي أمر بإرسال الجيش السوفييتي إلى أفغانستان. أما (منص) فقد سموا به المطار الذي هو مطار (بشكك) سموه مطار منص كما تقدم.

حي ديانا انطونوفكا:

سلكنا شارع الفأس السوداء (قرا بالتا) متجهين جهة الغرب فوصلنا إلى حي اسمه (ديانا انطونوفكا)، وهذه تسمية روسية صميمة، وكان هذا الحي روسياً بأكثرية سكانه، إلا أن الروس أخذ بعضهم يرحل بعد الاستقلال وإن كان ذلك على نطاق ضيق وصار المواطنون من المسلمين القيرغيز ينزلون في هذا الحي حتى وصل سكانه المسلمون الآن إلى النصف، وليس فيه مسجد فيما ذكره المرافقون.

قالوا: والسبب في كون الروس ومن لف منهم من الأوروبيين الموجودين في هذه البلاد المسلمة لا يرحلون بكثرة أن الوضع الاقتصادي في بلادهم سيء جداً فالغلاء منتشر فيها أكثر من بلاد المسلمين هذه، وفرص العمل فيها قليلة والمساكن معدومة لمن لا يملكون مقداراً كافياً من العملات الصعبة، وأنى لهم بذلك لأنهم كلهم من ضحايا الشيوعية.

بلدة سوقولق:

وسوقولق تعني المدكوك أي المضغوط بشيء ثقيل باللغة القيرغيزية، وتبعد هذه البلدة (٣٢) كيلو متراً من بشكك.

ذهبنا إليها مع طريق يشق ريفاً خالصا، ذا أشجار وحقول مزروعة ذكروا أن معظم الخضرة الموجودة فيه الآن هي أعلاف للحيوان وهي من النبات المزروع لهذا الغرض.

وما زالت جبال تيان شان الثالجة تطالعنا جهة اليسار تجللها الثلوج الناصعة التي يكاد بياضها يعشي العيون.

اخترقنا سوق (سوقولق) الذي هو جزء من الشارع العام الذي يمر بها، ومن الأشياء التي استرعى الإخوة المرافقون أنظارنا إليها كنيسة لا أبراج لها، لذلك لا يعرف أنها كنيسة إلا من كان من أهل البلاد أو عرف بها، ولا مسجد في هذه البلدة ذلك أنها كانت تعتبر بلدة روسية أو لنقل أوروبية حيث كان سكانها يتألفون من الروس والأكرانيين والألمان المهجرين والأرمن وأضرابهم.

قرية ساز:

لم نقف في بلدة (سوقولق) لكونها ليس فيها مسجد، ولم يكن في الوقت متسع لنقف فيها لرؤيتها من دون أن نعمل فيها شيئاً فاتجهنا جهة الغرب خارجين إلى ريف خالص كأننا نقصد جبال (تيان شان) الناصعة البياض.

ومن أبرز المناظر فيه منظر الرعاة الذين يرعون أغنامهم في هذا الجو البارد، وقد لبسوا الملابس التي هي إفرنجية في الأصل وعمادها السروال الإفرنجي الغليظ الذي هو (البنطلون) ولم أرَ عليهم زياً وطنياً يتمسك به هؤلاء الرعاة.

ثم وصلنا إلى منطقة مسكونة من الريف فيها مَزارع وبيوت ريفية غير وجيهة المنظر. حتى وصلنا إلى وادٍ واسع المجرى إلا أنه جاف فهو يسيل من المطر وليس بنهر وينحدر من جبال (تيان شان) إلى السهول ولكن عمق مجراه يدل على أنه يفعم بالمياه إذا سال، وأن الثلوج في الصيف تذوب فتؤلف ماء يجري فيه، وقد انتشرت في هذا الوادي أكواخ ريفية بعضها من الخشب وبعضها من الآجر، ذكروا أنها

الآن غير مسكونة، وإنما بناها الكبار من علية القوم للاستراحة في الصيف أو حين الحاجة إلى الاستراحة في الريف.



المؤلف بعد [illegible] وتبدو الجبال [illegible]

ومن أجمل الأشياء التي رأيتها أشجار التفاح المزهرة بزهرها الأبيض الناصع وقد سقط عليها الثلج فزادها بياضاً على بياض فصارت كأنما هي كلها زهر من الزهر وليس فيها أوراق خضر، وحالتها تدل على ما قاله هؤلاء الإخوة من أن البرد الذي أصاب البلاد في هذه الأيام ليس بالبرد المعتاد، وأنه كان عندهم جو ربيعي قبل ذلك.



المؤلف بين أهالي قرية ساز

ومن الطريف أن الأشجار الأخرى غير التفاح قد سقط عليها الثلج فصارت أوراقها بيضاً كأنها الزهور البيض، وتبعد قرية (ساز) ١٥ كلم عن بلدة (سوقولق)، ومعنى اسمها: الموسيقى، فساز بمعنى الموسيقى.

قصدنا مسجدها الذي يبنونه الآن وهو مسجد جديد مثل أكثر القرى والمحلات في هذه البلاد التي لم تكن فيها مساجد في عهد الشيوعية، وإنما بدأ أهلها بناء المساجد الآن بعد أن أتيح لهم ذلك فكأنهم الذي صح من مرض عضال أصابه، والشيوعية ـ بلا شك ـ

مرض عضال لأنها أفسدت الدنيا والدين وحرمت الناس من متع الحياة، ومن العمل للدين، لأنه كان في القرية مسجد قبل الشيوعية فهدمه الشيوعيون، وبقيت القرية دون مسجد سنين طويلة، وحدثنا الأخ (أمة علي) فيما بعد أن والده كان إماماً في المسجد المهدوم.



وجدنا عند المسجد عدداً قليلاً من الإخوة المسلمين على رأسهم الأخ (أمة علي عالم باي) ورغم ما قد يوحي به هذا الإسم فإن صاحبه سني، ولا يوجد في هذه القرية، بل في المنطقة كلها أحد من الشيعة، وقد تساءلنا عن ذلك عندما سمعنا اسم المتولي (أمَّة علي) واسم الإمام

المرشح للإمامة في المسجد وهو (حيدر بيك) فكلاهما سني رغم ما يوحي به اسماهما من أنهما من الشيعة.

كما ذكر لنا الإخوة الذين وجدناهم في المسجد أن أهل قرية (ساز) هذه كلهم من المسلمين من القيرغيز، وليس فيهم أحد من الروس أو الأوروبيين خلاف بلدة (سوقولق) التي تعتبر هذه القرية من قراها، وذكروا أن سكان القرية هم ٤٨٠ أسرة.

وقد شاهدنا المسجد صغيراً مساحته ١٢ متراً في ١٤ وقد أنجزوا القسم الأكبر منه إذ تم تسقيفه إلا أنهم لا يزالون يعملون فيه، ويؤملون أن يبنوا بجانبه مدرسة في المستقبل مع أن الأرض التي منحت لهم للمسجد ليست واسعة ولكن يمكنهم أن يحصلوا على أرض مجاورة بثمن رخيص أو بالمجان من الحكومة.

أما إمام المسجد فإنه لم يكن لديهم إمام في السابق وإنما الموجود الآن إمام مرشح ذكر مرافقنا الشيخ محمد حبيب الله محمد نائب قاضي (قيرغيزستان) أنه شاب من طلابه لا يزال يطلب العلم وسوف يتفرغ بعد ذلك لإمامة المصلين في هذا المسجد، وللدعوة والإرشاد في القرية، واسمه (حيدر بيك بن ستار) أي ابن عبد الستار.

وذكروا أن هذا الشاب كان يعمل قبل ذلك مزارعاً في المزرعة الجماعية في القرية المسماة (كلخوز)، وقد قدمنا لهم تبرعاً من الرابطة ألفاً وخمسمائة دولار أميركية نقداً، إلا أننا واعدناهم مثل غيرهم أن نسلمهم المبلغ بعد أن يحضر متولى المسجد والإمام والمؤذن وأمين الصندوق في جمعية المسجد إن وجدوا، وسيكون ذلك في جامع بشكك بحضور نائب القاضي وعدد من أئمة المساجد العاملين في



الجبال الثالجة كما ترى في ريف بشكك

الحقل الإسلامي هناك، وذلك من باب التوثق من النقود التي نتبرع بها من الرابطة وأن تصرف في مصرفها الصحيح، وأن يكون ذلك بمعرفة قاضي (قيرغيزيا) ونائبه.

ونظراً لارتفاع القرية في أقدام جبال (تيان شان) فقد كان البرد فيها شديداً والثلج لا يزال قطع منه على الأرض قرب المسجد مما حدا بالرفقة إلى تهادي كرات منه والتقاط الصور التذكارية وهم يمسكون بها.

وقد زاد من شعورنا بالبرد وجود الجبال الثالجة التي تطل على

المنطقة تجللها الثلوج، ومع ذلك فإن المنطقة معمورة بالحيوان والناس ذكروا أن الحياة فيها قائمة على الرعي والزراعة، وأن أهلها لا بأس بحالتهم بعدما سمح الشيوعيون بتملك الأشياء القليلة وأن يبيع الفلاح بعض ما تخرجه أرضه من زرع وما يربيه من حيوان.



إلى بلدة موسكو فسكي:

ومعنى اسمها (المسكوية) أو (المسكوفية) لأن الروس يلفظون باسم مدينة موسكو (موسكو ف) وهذه سماها الروس بهذا الاسم

لينسبوها إلى مدينة (موسكو) عاصمة بلادهم وإلا فإن اسمها الوطني الأصلي الذي غيره الروس هو (آق صو) ومعناه: الماء الأبيض، لأن (أق) بالتركية أبيض، وصو: ماء.

والتسمية بهذا الإسم (آق صو) شائعة في البلاد التي يقطنها أناس من ذوي الأصول التركية، وممن يتكلمون لغة متفرعة عن التركية القديمة، أو ذات أصل تركي، كما تقدم أنني عرفت بلداناً وأماكن عديدة تسمى بهذا الإسم (آق صو) من ذلك بلدة (آق صو) الكبيرة في تركستان الشرقية الواقعة الآن تحت حكم الصين الشعبية وقد نزلت فيها طائرتنا عندما سافرنا من مدينة (أورمجي) عاصمة تركستان الشرقية إلى مدينة (كاشغر).

ومن ذلك بلدة (آق صو) في وادي فرغانة. وحتى الأنهار يوجد منها ما سمي بآق صو بمعنى النهر الأبيض وقد ركبت سفينة فوق واحد منها هو أحد فرعي نهر إيتل الذي يسمى الآن نهر الفولجا وذلك عندما زرنا مدينة (أوفا) عاصمة جمهورية بشكيريا ذات الحكم الذاتي داخل جمهورية روسيا الاتحادية.

وتقع مدينة أوفا تلك بين فرعين أو لنقل بين شعبتين كبيرتين تؤلفان فيما بعد نهر (الفولجا) هما (آق صو) و (قراصو) بمعنى النهر الأبيض والنهر الأسود، وكل واحد منهما كبير بحيث أنه لو كان منفرداً في منطقته لعد من الأنهار غير الصغيرة.

وحتى هذه البلدة القيرغيزية سميت (آق صو) لأن فيها نهراً صغيراً اسمه (آق صو).

هذا وقد عدنا إلى الطريق الرئيسية التي كنا تركناها منذ أن تركنا

بلدة (سوقولوق) ولكننا تجاوزنا البلدة مبتعدين جهة الشمال الغربي عنها وعن مدينة بشكك التي تقع إلى الجنوب الشرقي منها بطبيعة الحال.

فوصلنا بلدة (موسكو_فسكي)، وتجاوزناها إلى قرية تعتبر من توابعها، إن لم تكن من ضواحيها اسمها (الكسندروفكا) وهذا اسم روسي كما هو ظاهر.



مسجد دونغان شمال بشكك في قيرغيزستان

وذلك لرؤية مسجد فيها كبير يقوم على بنائه أخوة من المسلمين الصينيين من جماعة (دونغان) وقد هاجروا من الصين إلى هذه البلاد

قبل ١٢٠ سنة، إثر ثورة حاولوا فيها إنشاء دولة إسلامية لهم هناك، وعددهم الآن في هذه البلدة ألفا شخص، وهم من الأقوام النشطة في المحافظة على دينهم، رأيت بعد ذلك جماعة منهم في مدينة (ألما أتا) عاصمة قازاقستان قد شادوا فيها مسجداً جامعاً ضخماً وبجانبه مدرسة كبيرة كل ذلك من تبرعاتهم الخاصة.

وهؤلاء الإخوة المسلمون من دونغان يقومون الآن ببناء هذا الجامع الضخم.

وقفنا عند المسجد الضخم في هذه البلدة ويسمونه (مسجد الإمام الأعظم) أي الإمام أبي حنيفة رحمه الله، فوجدنا حشداً منهم عند المسجد ومعهم أخوة لهم من المسلمين الآخرين الذين يتعاونون معهم على فعل الخير.

كان من المستقبلين (عبد العزيز مايان) متولي المسجد و (محمد ما ون شو) المحاسب، والأخ عبد الحكيم حي مراد إمام المسجد، ومن كبار المسلمين في هذه القرية.

كما حضر عدد من أبناء المسلمين في القرية الذين يدرسون في المدرسة الإسلامية الملحقة بالمسجد، وواضح من تقاسيم وجوههم أنهم من الصينيين إلا أن الفرق ليس ظاهراً ظهوراً كبيراً بينهم وبين المواطنين من القيرغيزيين الأصلاء، ربما كان مرجع ذلك إلى المصاهرة والاختلاط بالزواج، ولكون القيزغيز فيهم ملامح مغولية لا تبعد في النظر عن الملامح الصينية إلا لعارف خبير.

حدثونا عن قريتهم (الكسندر وفكا) أنها قرية مسلمة يبلغ مقدار سكانها (٣٠) ألف نسمة جلهم من المسلمين الذين ينتمون إلى قوميات



عديدة ـ منهم الأوزبك جيران القيرغيز وجماعات من المسلمين الذين أجلاهم طاغية الشيوعية الروسية السابق ستالين إبان الحرب العالمية الثانية، ومنهم قوم من الشيشان وقراجاي هذا إلى جانب السكان من القيرغيز أهل البلاد وهذه الجالية الصينية المسلمة التي يبلغ عدد أفردها ألفي نسمة.

دخلنا إلى المسجد الذي بنوه عالياً مشرفاً إذ الدور الأول منه يصعد إليه بدرج واسع قوي من الإسمنت المسلح مثل المسجد كله تعلوه قبة ضخمة.

وفي الدور الأرضي تحته مسجد آخر واسع يستعملونه في الوقت الحاضر مدرسة لتعليم الأطفال، وقد شاقنا فيه أنه دافىء جداً لأنهم أشعلوا فيه مدافىء قوية، وقد بدأ الدفء في الجو إذ أشرقت الشمس لمدة قصيرة تمكنت فيها من تصوير المسجد وشارع القرية ثم عادت للاحتجاب، وهم يصلون الآن في هذا الطابق الأرضي ريثما ينتهي العمل في الطابق الأول الذي فوقه.

وقد لاحظت أنهم قد علقوا في هذا الطابق الأرضي عدداً من الجباب ـ جمع جبة ـ ربما كانت للإمام والمؤذن ومن يريد من المصلين ألا يصلي في الملابس الإفرنجية. والدليل على ذلك أنهم علقوا عدداً من العمائم، لا شك في أنها عامة لمن يريد من المصلين مثلما يصنع المسلمون من أهل الهند في الوقت الحاضر، إذ يجعلون في المسجد عدداً من القلانس: جمع قلنسوة، وهي الطواقي ـ جمع طاقية ـ وهنا يلبس أكثرهم القبعات لأنها زي رسمي ولكون البلاد باردة يحتاج المرء فيها إلى أن يغطي رأسه بشيء يقيه من البرد وأحياناً من الثلج.

كما علقوا في المسجد هذا لوحات عربية عديدة منها صورة الكعبة المشرفة ولوحة أخرى شركية إذا كانوا يفهمون معناها ويعتقدونه وهي (يا الله، يا محمد)، وهذه لوحات رأيناها موجودة في عدد من بلاد المسلمين الأعاجم يعلقونها من باب إظهار الشعار الإسلامي، وأكثرهم لا يعرفون معناها أو يعتقدون فيه غير ما تدل عليه من ذلك قول بعضهم لي: إن هذه فيها اسم الله واسم رسوله ﷺ، فنحن نعلقها في المسجد لهذا السبب، فقلت له: إنه يمكنكم أن تمحوا (ياء) النداء وإن شئنا التدقيق في المعنى اللغوي قلنا: إنها (ياء) الاستغاثة، وهي تأتي في العربية للمعنيين كليهما، حسب سياق الكلام، وقصد القائل.



أولاد المسلمين عند مسجد دونغان شمال بشكك وهم من أصل صيني

ونلاحظ أن أكثرهم لا يعرف من الكتابة العربية شيئاً حتى لفظ الجلالة أو اسم النبي ﷺ، وذلك أن الحروف العربية غير الحروف الهجائية التي يعرفونها لأنهم يتعلمون حروف الهجاء الروسية التي تعرف بالحروف السيريلية وهي حروف سلافية شبيهة بالحروف اليونانية وإن تكن غيرها، وهي غير الحروف اللاتينية الشائعة التي تكتب بها اللغات الأوروبية الأخرى كما هو ظاهر، وقد قال لنا إمام المسجد: إنه سيبعد هاتين اللوحتين الليتن لا يعرف معناهما.

حديث عن المسجد:

في جلسة في غرفة ملحقة بالمسجد أحضروا بعض الطعام الذي عمادها الشواء اللذيذ الطازج من لحم الغنم كانوا يشوونه في قضبان ويقدمونه حاراً، وكان الحديث عن هذا المسجد العظيم، فذكروا أنه كان في مكانه مسجد صغير قديم وأنهم بنوا هذا المسجد العظيم حتى يستوعب المصلين الذين زاد عددهم والمنتظر أن يتضاعف بعد أن هزم الله الشيوعية وأهلها.

وهذا المسجد هو أكبر المساجد الجديدة التي رأيناها في منطقة مدينة بشكك وما كان قريباً منها، أما في محافظة (أوش) فإن فيها مساجد أكبر منه.

ذكروا أن عدد الذين يحضرون صلاة الجمعة يتراوح ما بين ٧٠٠ إلى ٨٠٠ مصلٍ وأن المصلين فيه الصلوات الخمس اليومية في حدود (٥٠) شخصاً في المتوسط.

كما ذكروا أنهم قد صرفوا حتى الآن على عمارة المسجد أكثر قليلاً من (٤٠٠) ألف رويل. ولا يزال المسجد يحتاج في إكماله إلى مبالغ جديدة، وأنهم لم يتسلموا أية مساعدة مالية من خارج بلادهم، وإنما كل ما حصلوه هو من تبرعات المسلمين المحلية.

وقد أعلنا لهم تبرع رابطة العالم الإسلامي بثلاثة آلاف دولار أمريكية للإسهام في إكمال المسجد الذي لا يزال يحتاج إلى عناية ونفقات كثيرة.

وقد سروا في الحصول على هذا المبلغ الذي لم يكونوا يتوقعونه.

حدثونا أيضاً عن المدرسة الإسلامية الملحقة بالمسجد، فذكروا أن الدراسة فيها منتظمة صباحاً ومساءً، وأن الطلاب يأتون إليها في فرقتين: فرقة في الصباح وفرقة في المساء حسبما يتسنى لكل فرقة، وأن عددهم جميعاً يبلغ ١٧٠ طالباً. وقد اطلعنا على المدرسة والتقطنا صورة تذكارية مع الطلاب الموجودين الآن وذلك في فناء الجامع الخارجي عند مدخله، قالوا: من أجل أن يظهر المسجد في الصورة فتتميز عن غيرها.

وهذه أكبر مدرسة إسلامية رأيناها في (قيرغيزستان) في سفرتنا هذه وأكثرها تنظيما، مثلما أن مسجدهم هو أكبر مسجد من المساجد الجديدة التي رأيناها، ومن الجدير بالتنويه أن ذلك كله قائم على تبرعاتهم الخاصة ولم يتسلموا أية معونات من خارج البلاد مع أنهم لو كتبوا للرابطة بالطريقة الصحيحة التي منها أن يقدم الطلب بوساطة جهة معتمدة عند الرابطة مثل الإدارة الدينية لمسلمي ما وراء النهر التي مقرها طشقند لكانت الإعانة مضمونة لأننا نحن نساعد جميع المؤسسات الإسلامية التي تحتاج مثلهم إلى مساعدة، وذلك بالإسهام الجزئي في المشروعات وإن لم يكن بدفع كل النفقات مع أن النفقات التي يحتاجونها هم بالذات ليست كثيرة بسبب انخفاض الأجور في بلادهم وارتفاع قيمة العملة الصعبة التي ترسل المساعدات المالية بها وهي الدولار الأميركي.

وقد أخبرناهم بذلك وبالطريقة التي ينبغي أن يسلكوها في طلب المساعدة من الرابطة، وذلك لضخامة مشروعهم وأهميته وحتى يكونوا

قدوة لغيرهم من إخوانهم المسلمين في هذه البلاد إذا تم العمل في مشروعهم على الوجه المطلوب.

بل إننا في رابطة العالم الإسلامي نساعد حتى على استمرار تشغيل المؤسسات الإسلامية التي يحتاج تشغيلها والانتفاع بها إلى مساعدة مثل هذه المدرسة الإسلامية التي أنشأوها وتحتاج إلى المساعدة على استمرار العمل بها، ويمكننا أن نفعل ذلك عن طريق ارسال الكتب المدرسية العربية إذا كانت تتفق مع منهج الدراسة في المدرسة، كما أننا قد نقرر لهم مبلغاً مالياً سنوياً يساعدهم على تحمل المصاريف المتجددة للمدرسة، ومن ذلك المساعدة على دفع رواتب المدرسين، وربما تتحمل الرابطة رواتب بعض المدرسين الذين تعينهم فيها كاملة.

ومن الأشياء المهمة أيضاً أننا نستطيع أن نسهم في بناء مقر جديد للمدرسة أو زيادة فصول الدراسة فيها إلى غير ذلك من أوجه المساعدات المتعددة.

وقد طلبنا من أخينا ومرافقنا الشيخ محمد حبيب الله بن محمد أن يكتب إلينا بحاجات جميع المؤسسات التي رأيناها من مساجد ومدارس، كما أنه يمكن أن يتبع الإجراءات التي أخبرناه بها فيكتب عن المساجد والمدارس التي تستحق المساعدة مما لم نتمكن من زيارته على أن يتبع ذلك بالأوراق اللازمة ومنها شهادة من الإدارة الدينية لمسلمي ما وراء النهر في طشقند، تضمن المصادقة على ما ذكر وحاجة المشروع إلى المساعدة ولا بد في ذلك من ذكر كامل المبلغ اللازم له، وبيان ما يستطيع القائمون عليه دفعه، وما يطلبون من الرابطة الإسهام به.

وأهم شرط لذلك أن يتملكوا الأرض ومبلغاً من المال يمكن أن يبدؤا به العمل قبل أن يتقدموا إلى الرابطة بطلب المساعدة.

مسجد أبي بكر الصديق

غادرنا قرية (اسكندروفكا) قاصدين جهة بلدة (آق صو) ولكننا لن ندخلها وإنما سنذهب إلى منطقة ريفية في جهة الغرب منها تعتبر من ضواحيها، وذلك لزيارة مشروع مسجد هناك اسمه (مسجد أبي بكر الصديق) فسلكنا طريقاً ريفياً متوسط السعة أهم المناظر عليه أشجار التفاح التي جللتها أزهارها البيض.



طريق في ريف بشكك قرب مسجد دونغ

وقفنا قرب المسجد الذي بنيت أساساته وارتفعت حوالي المتر، وهي أساسات محكمة مبنية بالإسمنت المسلح والحجارة بين القواعد.

وهذا المسجد له معنى خاص إذ القائم عليه هو أحد أبناء المسلمين الذين عملوا مع الحزب الشيوعي سنوات طوالاً حتى قال: إنه أمضى في وظيفة (السكرتير) للحزب الشيوعي في (آق صو) حوالي (٢٠) سنة، وقد هداه الله للإسلام في الوقت الحالي فأراد أن يكفر عن ذنوبه من خدمة الشيوعيين ببناء بيت من بيوت الله هو الأول الذي يقام في هذه الناحية واسمه (يوسف بيك جان علي)، لم نجده عند المسجد فأرسلنا إليه أحد الأشخاص يدعوه من بيته في محلة قريبة وفي أثناء ذلك كان القوم من أهل بشكك يحدثوننا عنه وعن قوته في إسلامه عجباً قالوا: من ذلك أنه يذهب إلى بيوت الناس بنفسه يدعوهم لأداء الصلوات، وصار يجمع الأموال لبناء المسجد قرشاً قرشاً مستغلاً مكانته عند الناس ومعرفته بالسلطة في البلاد.

ثم جاء الأخ (يوسف بيك) وهو متقاعد فهنأته على العودة إلى الإسلام، وقلت له: إن أفضل عمل تعمله أن تعوض ما فات من عمرك في خدمة الشيوعية بتعليم أولادك وأولاد المسلمين الدين الإسلامي، وكان يصحبه ابن له فتى يافع اسمه (علي)، وذلك عن طريق انشاء مدرسة إسلامية بجانب المسجد، واستكمال كل ما يلزم لها لتكون منارة للعلم والدين الإسلامي في هذه المنطقة.

وقد أبدا شكره لهذه النصيحة واستعداده لتنفيذها، وأخبرنا أن له اثنى عشر من الولد ٧ بنات و ٥ أبناء والحقيقة أننا شعرنا أن الرجل صادق التوبة، وأنه يدعو إلى الله الآن بإخلاص واجتهاد، ويا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على دينك.



مكان المسجد (تحت التأسيس) في بلدة شمال بشكك مع الشيوعي السابق يوسف بك داية.

تقع أرض المسجد في مساحة خالية من المباني، إذ لا يلاصقها منها شيء، وإن كانت المنطقة معمورة وهي هبة من بلدية المنطقة حصل عليها الأخ (يوسف بيك)، كما ذكر أنه تلقى مساعدة من الإدارة الدينية لمسلمي ما وراء النهر قدرها ٢٠ ألف روبل وهذه تساوي الآن حوالي ألف وثلثمائة وثلاثين دولاراً أمريكياً، ولكنها تعتبر مبلغاً لا بأس به في هذه البلاد كما تقدم، كما حصل من هيئة الإغاثة الإسلامية بوساطة أحد الأشخاص الذين يعرفهم على مائة ألف روبل، وتقدر

تكاليف بناء المسجد وما سيلحق به بثلاثة ملايين روبل كما أخبرنا بذلك.

وقد قدمنا له تبرعاً اعتبره هو والذين معه سخياً وهو ثلاثة آلاف دولار أمريكي وتساوي أربعمائة وخمسين ألف روبل، وكان حضر معه بعض الأشخاص الذين لهم علاقة ببناء المسجد.

المسجد المؤقت:

لم ينتظر الأخ يوسف واخوانه القائمون على بناء مسجد أبي بكر الصديق هذا أن ينتهي بناء المسجد ويبدأوا الصلاة فيه، وإنما أقاموا مصلًّى صغيراً جيداً صاروا يؤدون فيه الصلاة، واتخذوا منه أيضاً مكتباً للجنة القائمة على بناء المسجد التي يرأسها الأخ يوسف بيك نفسه، وهو مؤلف من ٣ غرف إحداها مكتب يستعمل للصلاة عندما يكثر المصلون، وقد زينوا هذا المبنى الموقت برسوم ولوحات إسلامية عديدة وآيات قرآنية مجيدة، من ذلك سورة الفاتحة، وآية الكرسي، وتفسيرها، ومنها لوحة توضح الرسم المطلوب أن يبنى عليه المسجد وكتبوا معه سورة ﴿**قل هو الله أحد**﴾ إلخ.

حديث عن المسلمين في المنطقة:

جرى حديث مع الأخ يوسف وهو مثقف جداً، ومعه إخوان له مثقفون أيضاً في هذه الناحية التي يسكن فيها كثير من الروس فذكروا أن المسلمين يزيدون وأن الروس ينقصون، أما زيادة المسلمين فإنها بسبب كثرة المواليد وهجرتهم من البوادي إلى المدينة لأنه لا تزال توجد نسبة من القيرغيز يعتبرون من الرعاة سكان البوادي، وأما النقص

في الروس ومن لف منهم من الأوروبيين الآخرين فإنهم ينقصون لقلة المواليد فيهم بالنسبة إلى المسلمين، ولكونهم صاروا بعد استقلال البلاد يرحلون أو يفكرون في الرحيل، وبالتالي فإنه لا يقدم منهم أحد من جديد أصلاً.

وسألته عما إذا كان الروس يدخلون في الإسلام فأجاب: إن ذلك قليل جداً، ولكنه سجل أن ستة من الروس تبرع كل واحد منهم لبناء المسجد بمائة روبل!

هذا مع العلم بأن الروس وغيرهم من الأوروبيين لا يزالون يؤلفون الأكثرية من سكان (آق صو) إذ يبلغ عدد سكانها ـ كما أخبرونا ـ ٨٥ ألف نسمة فيهم تسعة عشر الفاً منهم من المسلمين أي حوالي ١٩٪.

أما السبب في كثرة الروس في هذه المنطقة بخاصة ومنطقة بشكك بصفة عامة فلكونهم كانوا المستعمرين الذين كانوا يحكمون البلاد، وكان كل شيء في أيديهم، ومن بداية الشيوعية كانوا يأتون للعمل بكثرة، وكانت الحكومة تساعدهم فتعطيهم المساكن فوراً، على حين كان المواطنون من القيرغيز لا يستطيعون الحصول على مسكن إلا بعد سنين.

ومعلوم أن جميع المساكن من المدن والقرى الكبيرة كانت بأيدي الحكومة الشيوعية تعطيها من تراه بأجرة رخيصة، ولكنها تبدأ في العادة بموظفيها وبأعضاء الحزب الشيوعي أو القريبين منه قبل غيرهم.

العودة إلى بشكك:

بدأنا العودة إلى مدينة بشكك في الثانية من بعد الظهر، ولاحظنا من الحسنات في سياراتهم ان التدفئة فيها قوية جداً، إذ ما أن تدخل الى السيارة ويدور محركها حتى تشعر بالدفء لقوة ما يطلقه من هواء ساخن من السيارة، ومن المعلوم أن سياراتها كلها هي من صنع روسي، وهذا قد يبدو طبيعياً في السابق لكونهم كانوا داخلين مع روسيا في (الاتحاد السوفيتي)، غير أن المشكلة بل المعضلة حصلت لهم بعد الاستقلال إذ اكتشفوا أن قطع التغيير للسيارات، وكذلك كل اجزائها يجب أن تأتي إليهم من روسيا، لأنه لا توجد في بلادهم مصانع تصنع هذه الآلات، والروس صاروا الآن يطلبون ثمناً لتلك الأجزاء بالعملة الصعبة وهذا ما لا يستطيعونه الآن لذلك صار الروس يقبلون بالدفع بالروبل ولكن بأثمان مرتفعة جداً لا تناسب بينها وبين أسعارها السابقة، ولا طاقة لهم بدفعها، بسبب دخولهم المحدودة.

واخترقنا سوق (آق صو) في العودة دون أن نقف فيه وهو صغير لا يتناسب مع حجم البلدة ولكن هذه هي طبيعة الأسواق في البلدان الشيوعية حيث تكون الدولة هي المهيمنة على التجارة كلها وهي تبيع البضائع على أفراد الشعب الذين ينقلبون إلى مشترين من الحكومة.

ورأينا فيها محطة للحافلات فيها عدة حافلات واقفة والحافلات في البلدان الشيوعية تكون كثيرة ورخيصة الأجرة، لكي تعوض أفراد الشعب عن كونهم لا يملكون سيارات خاصة إلا القليل منهم.

تسليم المساعدات المالية:

كنا قد واعدنا أهل المساجد التي أعلنا التبرع لأربابها أن يحضروا في الساعة الثانية من هذا الظهر في مكتب الإدارة الدينية لقيرغيزستان في جامع بشكك، وقد دفعنا لهم ذلك نقداً بالدولار الأمريكي وكنا طلبنا أن يحضر من كل مؤسسة متوليها وأمين الصندوق وإمام المسجد. وحضر تسليم هذه المساعدات الشيخ عبد المجيد قاري إمام جامع بشكك والشيخ تيمور باي بن أورنباي مدير المعهد الإسلامي كما كان يصدق عليها الشيخ محمد حبيب الله بن محمد نائب قاضي قيرغيزستان وهو بمثابة مدير الإدارة الدينية لهذه الجمهورية. ومحاسب الإدارة الدينية الأخ عبد القادر، وذلك من أجل أن يعرف الجميع بها، فيحرصون على أن تصرف في مصارفها.

توسعة المسجد الجامع:

جامع بشكك هو أكبر المساجد فيها وقد ظل لعدة عقود من السنين المسجد الوحيد فيها، كما تقدم.

ولم يكونوا يسمحون بانشاء أي مسجد جديد حتى انهزمت الشيوعية، وأعلنت البلاد عن استقلالها، فبدأت حركة جديدة مباركة ببناء المساجد في أحياء المدينة ونواحيها غير أن هذا المسجد ظل حتى الآن هو المسجد الوحيد الذي تقام فيه صلاة الجمعة، لذلك صار يمتلىء بالمصلين، ويضيق بالناس فاعتزم القائمون عليه وهم جمعية يرأسها شخص يسمونه (متولي المسجد) أن يوسعوه وأن يبنوه بناء حديثاً بمعنى أن يهدموه كلية لأن بناءه قديم وليس له مظهر المسجد الظاهر الشعار وأن يجعلوا له منارتين شامختين وقبة عربية واضحة

لأنه ـ إلى جانب كونه المسجد القديم ـ فإنه واقع في قلب المدينة بين أبنية حكومية مهمة، وبخاصة في هذه المرحلة التي بدأ الإخوة المسلمون يتوافدون فيها على هذه البلاد، ويجب أن يروا فيها مسجداً جامعاً شامخاً يكون رمزاً لعراقة هذه البلاد في الإسلام، ولتطلعها إلى مستقبل إسلامي زاهر.

هذا ما قاله لنا القائمون على المسجد، وفي مقدمتهم الشيخ محمد حبيب الله نائب القاضي وعلى ذكر القاضي نفسه ننوه بأنه غائب عن البلاد، وأنه يعالج الآن في مستشفى في طشقند عاصمة أوزبكستان، لذلك لم نتمكن من الإلتقاء به، واسمه (شمشان باي عبد الرحمن).

ولما قلنا لهم: إن هذا المخطط الذي وضعوه لتوسعة المسجد هو كبير وكلفته كثيرة ربما لا يستطيعون تحملها في حالة بلادهم الاقتصادية الحاضرة أجابوا بأن ذلك صحيح، ولكن أحد الإخوة من أهل هذه البلاد المغتربين في أمريكا كان قد زارهم وأعلن تبرعه لهذا الغرض بثمانية ملايين روبل وأن هذا يقرب من تكلفة التوسعة المقدرة.

فقلنا لهم: إننا نخبركم بأن رابطة العالم الإسلامي مستعدة للإسهام في هذا المشروع الجليل، وما عليكم إلا أن تكتبوا للرابطة إذا بدأتم بوساطة الإدارة الدينية لمسلمي ما وراء النهر التي ينبغي أن تؤيد طلبكم وتخبر الرابطة بالمرحلة التي وصل إليها المشروع.

ثم أعلنت لهم تبرع الرابطة بثلاثة آلاف دولار للنفقات العاجلة التي يحتاجها الجامع الحالي.

المعهد الإسلامي.

يقع المعهد الإسلامي بجانب الجامع بينهما فناء مكشوف، وقد انتهوا لتوهم من إقامة مبنى جديد له على أرض قديمة يتألف هذا المبنى من ثلاث طبقات.

ودخلناه واطلعنا على فصول الدراسة فيه، واجتمعنا ببعض مدرسيه وطلابه، وذلك بصحبة الإخوة المرافقين من أهل البلاد ومنهم الأخ الشيخ تيمور باي بن أورنباي مدير المعهد.

ويدرس في هذا المعهد (١٥٠) طالباً لهم تسعة مدرسين ذكر المدير والمدرسون يسمعون أن راتب المدرس الواحد هو (٧٠٠) روبل في الشهر، ويساوي ذلك أقل من ٥ دولارات أمريكية أي ثمانية عشر ريالاً سعودياً فقط في الشهر.

وهذا مبلغ زهيد لا يمكن أن يقوم بحاجة الإنسان ولكن هذه هي طبيعة الرواتب عندهم إذ كانت مقدرة في القديم عندما كانت الأسعار محددة من الحكومة الشيوعية، وكانت تضمن بقاءها على ما هي عليه وبعد الشيوعية جن جنون الأسعار، وعقل عقل الرواتب فلم تزد إلا بمقدار ضئيل وهذا هو سبب ضعف الرواتب الآن وعجزها عن أن تفي بحاجات الموظفين.

على أنه لا بد من التذكر بأن القوة الشرائية لراتب المدرس هنا وهو ما يعادل ١٨ ريالاً سعودياً في الشهر تعادل خمسة أضعاف إلى ثمانية للقوة الشرائية لمثل هذا المبلغ في بلادنا أي أنها في الحقيقة تعادل حوالي مائة ريال فيما يستطيع أن يحصل عليه من يملكها من السلع والبضائع المتوفرة في البلاد أما بالنسبة إلى البضائع والسلع

المستوردة فإنها لا تكاد تساوي شيئاً، كما أن طبيعة حياتهم الطويلة تحت الشيوعية جعلت حاجاتهم محدودة وتطلعاتهم إلي اقتناء الآلات والأدوات العصرية قليلة.

ويقوم المعهد بتوفير المسكن للطلاب القادمين من خارج بشكك وذلك في طابق منه مخصص لهذا الغرض.

وجميع نفقات المعهد قائمة على تبرعات المحسنين وقد دفعنا إليهم إسهاماً رمزياً في ذلك، أما منهج الدراسة في المعهد فإنه كله مخصص للتعليم الإسلامي من عقيدة وفقه وتفسير وما يلزم ذلك من معرفة قدر من اللغة العربية.

ودعنا الإخوة الكرام الذين كانوا معنا في جامع بشكك، وأسرعنا الذهاب إلى المطار وسوف نزور قبل الطيران القرية الشرقية التي يقيم فيها الإخوة الداغستانيون الذين كانوا قد رحلوا من بلادهم في جبال القوقاز جبراً إلى هذه المنطقة النائية عنها، رحلهم عنها الشيوعيون في عهد الطاغي الباغي العاتي في طغيانه وبغيه جوزيف ستالين.

وتقع هذه القرية بالقرب من مطار (منص) الذي هو مطار بشكك. وكان مرافقنا الأخ الشيخ محمد حبيب الله نائب قاضي قيرغيزستان هو الذي كان يحثنا على زيارتها، وقد أجبناه إلى ذلك للإطلاع على المسجد الذي بناه الإخوة المسلمون الداغستانيون فيها وكذلك المدرسة الموجودة بجانبه.

وأهل هذه القرية كلهم من الداغستانيين لا يخالطهم غيرهم في

سكناها وهذا ظاهر من تقاسيم وجوههم ومن مظاهرهم التي تشبه تقاسيم الوجوه العربية لولا فارق البياض، وهم بهذا يخالفون إخوانهم القيرغيزيين من السكان الأصلاء في هذه المنطقة الذين في وجوههم تقاسيم تركية أصيلة وهي التي نسميها في بلادنا بالبخارية.

كان أول ما استرعى انتباهي عندما وصلنا إليهم القلانس (الطواقي) الداغستانية الضخمة التي تكون من الفرو السميك وهو عالية ضخمة، وتلك من مميزات بلاد القوقاز يلبسها المسلمون وغيرهم إلا أن المسلمين هناك لا يضعون غيرها في رؤوسهم على حين أن غير المسلمين قد يعتمرون القبعات فوق رؤوسهم بديلة من هذه الطواقي في بعض الأحيان.

استقبلنا أهل القرية في المسجد لأنهم كانوا على علم بموعد الزيارة وعلى رأسهم (متولي) المسجد الشيخ زبير محمد الذي ذكر لنا أن المساحة المبنية من المسجد هي ١٢ متراً في ٢٠ متراً، ولكنه من طابقين، وقد أعجبنا بناء المسجد فهو من الإسمنت المسلح ولبن الآجر الأحمر، وقد بنوه من التبرعات الخاصة فيما بينهم، ولذلك لم يكملوا طلاءه، ويؤم في هذا المسجد أخونا محمد حبيب الله نفسه.

وفي المسجد مدرسة ملحقة به يدرس فيها عدد من الطلبة استقبلناهم والتقطنا صوراً تذكارية معهم حسب طلبهم، ثم صلينا في المسجد صلاتي الظهر والعصر جمعاً وأعطيناهم تبرعاً من الرابطة إسهاماً في تكملة مبنى المسجد من حيث الطلاء والفراش.

مغادرة قيرغيزستان:

ذهبنا على عجل إلى المطار وهو مجاور لهذه القرية وكنا نخشى

فوت الطائرة، وفور وصولنا قال لنا المسئولون في المطار إن الحجز الموجود لنا للخامس من مايو أي بعد غد، وأن الذي حجز لنا وهو شخص أرسلته الإدارة الدينية قد أخطأ، وذكروا أنهم لا يمكن أن يركبونا من دون حجز، وهذا من العجب إذ المفروض أن يجعلونا في قائمة الإنتظار، هكذا نقل لنا عنهم اخواننا الذين كانوا يسعون لنا في المطار إلا أن أحدهم أخذ جوازي وهو (دبلوماسي) وذهب به الى مديرالمطار فأراه إياه وأخبره أننا يصعب علينا التأخر فأمر باركابنا ونحن ثلاثة، فأسرعنا إلى قاعة الترحيل ولكننا لم نقف فيها وإنما ذهبنا مباشرة إلى بوابة الخروج إلى الطائرة، حيث وجدنا الطائرة روسية الصنع من طراز (ياك ٤٠) وهي نفاثة صغيرة، والعجيب أننا رأينا فيها مقعدين خاليين زيادة على مقاعدنا الثلاثة.

إلى طشقند:

غادرت الطائرة مطار (منص) في السادسة والربع متأخرة عن موعدها المحدد في الأصل حوالي الساعتين، وكان من حسن حظنا إذ أدركناها وكان ذلك لكون إخواننا لم يتأكدوا من موعد قيامها لقلة خبرتهم بشئون الركوب في الطائرات.

والطائرة روسية الصنع كما ذكرت، وقد ذكروا لنا أنها تابعة لخطوط قيرغيزستان، ومع ذلك ليست عليها أية علامات أو عبارات مكتوبة تدل على ذلك، بل على العكس منه إذ كان مكتوباً عليها أنها تابعة لمؤسسة (ايروفلوت) السوفيتية وعليها شعارها، وذلك أن جميع هذه الجمهوريات التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي قد أعلنت أنها أنشأت شركة طيران خاصة بها وأخذت حصتها من شركة الطيران

السوفيتية لهذا الغرض ولكنها لم تكلف نفسها حتى الكتابة عليها، وربما كان مرجع ذلك إلى نقص الخبرة لديها لإدارة هذا المرفق الهام، ولنقص الأيدي المدربة على صيانة الطائرات، ولذلك رأينا في مطاراتها أعداداً كبيرة من الطائرات واقفة لا تتحرك.

ولشيء آخر وهو أن وقود الطائرات قليل لديها، أو لا يوجد، لذلك لم تستطع تشغيل كل الطائرات وأحياناً كانت توقف الطيران كله حتى الرحلات الرئيسية، كما حصل لنا عندما أردنا السفر من طشقند إلى بشكك فلم نجد طيراناً في ذلك اليوم بسبب قلة الوقود مما اضطرنا إلى السفر بالسيارة بين طشقند وبشكك وهي تزيد على ستمائة كيلو متر بالطريق البري.

ولهذا السبب حرصت على أن يكون كرسيي بجانب النافذة في الطائرة لأن هذه هي أول مرة أسلك فيها هذا الطريق الجوي إلى طشقند.

وفي الطائرة مضيفة روسية واحدة قرأت على الركاب المعلومات المتعلقة بالرحلة باللغة الروسية وحدها من دون مكبر للصوت، ولو كبروا صوتها ألف مرة لما استطعنا فهم ما تقوله. أما الركاب فإن أكثرهم من الروس أو ذوي الأصل الأوروبي فيهم رجال ونساء.

ارتفعت الطائرة فبدت الحقول الخضر في ريف هذه البلاد المسلمة التي لو وجدت الزراعة فيها آلات حديثة، وحوافز كافية لتضاعف الإنتاج، بل لأصبح مورداً مهماً للدولة، وظهرت مناقع المياه المتخلفة من الأمطار التي هطلت في الأيام الماضية، ورأينا نهراً صغيراً ربما كان هو نهر (علم الدين) الذي تقدمت الإشارة إليه.

وبدت جبال (تيان شان) وكأنما أشابتها السنون، ولكنه شيب سيغسله الصيف بصابون هو الشمس الساطعة والريح الدافئة.

ثم ارتفعت الطائرة فوق السحاب إلا أنه لم يكن سحاباً مطبقاً فكنا نرى من خلاله تلك الجبال الشيب منقادة في امتدادها الذي يكاد يشمل كل بلاد تركستان.

وحتى السحاب لم يستطع أن يعلو على كل تلك الجبال الشم فبدت قممها المجللة بالثلوج من فوقه كأنما هي على البعد الخيام البيض المنصوبة في صحرائنا العربية الجرداء، أو كأنها معسكرات الخيال المقامة فوق الرمال.

وبين الخيال الذي أثاره منظر هذه القمم البيض العاتية كان البصر يتخيل وهو ينظر داخل الطائرة إلي هؤلاء المستعمرين الروس الذين احتلوا هذه البلاد بسفك الدماء، واستباحة الحرمات وهم يغادرونها الآن من دون حرب أو ضرب بل زلزلوا زلزالاً شديداً يجللهم الخوف من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم، ولا تجدهم شاكرين.

بيع الضيافة:

لم يقدموا أية ضيافة في هذه الطائرة حتى كأس الماء المعدني أو القليل من شراب الفاكهة التي اعتادت شركة الطيران السوفييتية (إيروفلوت) تقديمه لركاب الرحلات الداخلية لم يقدموا منه شيئاً، وقد أخرج رفيقنا الأستاذ محمد محمود حافظ (معمولاً) وهو كالبسكويت من صنع مكة المكرمة وأعطانا منه فرأتنا المضيفة وأسرة روسية معها

أطفال فأعطاهم كلهم منه، وكانت المفاجأة أن أحضرت المضيفة قطعاً مغلفة بالورق من (الشيكولاته) وكنا ظنناها هي الضيافة إلا أنها صارت تبيع على الركاب بيعاً الواحدة منها بـ ٤١ روبلاً أي أقل بقليل من ثلث دولار.

وهذا من عجيب أمرهم إذ اعتادت بعض شركات الطيران العالمية على أن تقدم للركاب وجبة خفيفة تكون معها مثل هذه الحلوى (الشيكولاته) إذا كانت الرحلة تزيد على الساعة، ولم يكن الوقت وقت غداء أو عشاء.

أما هؤلاء فإنهم يبيعون حتى هذه الضيافة القليلة بيعاً، وهذا من عجائبهم.

ووجه الجد في الأمر أن أسعار التذاكر عندهم متدنية جداً إذا قيست بأسعارها في بقية أنحاء العالم لأنها قد حددت في الأصل لأجل توفير الطيران للركاب وليس من أجل الربح منه، ولذلك إذا قدمت الشركة طعاماً للركاب كان في ذلك تضخيم لخسارتها، وهذا بطبيعة الحال بالنسبة إلى الركاب من المواطنين الذين يدفعون أثمان تذاكرهم بالعملة المحلية أما نحن فإن تذاكرنا مقطوعة من بلادنا بالعملة الصعبة وبأسعار عالمية.

هذا والطائرة متجهة الآن إلي عين الشمس في هذه الساعة التي تقارب الآن السابعة عصراً لأن هذا هو موقع طشقند بالنسبة إلى بشكك.

في سماء طشقند:

بعد ساعة وعشر دقائق من الطيران صارت الطائرة تحلق فوق منطقة طشقند، وهي أرض خضراء معمورة بالحقول المنسقة التي تتناثر فيها القرى والبيوت الريفية، إذ كثافة السكان في أوزبكستان أعلى منها في بشكك، ويكفي أن يعرف المرء منا أن سكان عاصمتها طشقند يقارب عددهم ثلاثة ملايين نسمة.

ثم مرت الطائرة فوق جزء من المدينة الكبيرة بأبنتيه العالية المتعددة الطبقات (العمارات) وضواحيها التي لا تخلو مقدمات بيوتها ومكان الأرصفة في شوارعها من أشجار الفاكهة.

ثم هبطت في مطار طشقند بعد طيران استغرق ساعة وثلاث عشرة دقيقة، وللحديث عن طشقند وما جرى في هذه الرحلة كتاب آخر عنوانه: «العودة إلى ما وراء النهر»...

وبهذا انتهى حديث قيرغيزستان، والله المستعان على كل شأن.

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
حي نوا باولو باكا	١٢٨
الإفطار الثاني	١٢٩
الثلج في الفنجان	١٣٠
شارع الفأس السوداء	١٣٣
حي ديانا انطونوفكا	١٣٥
بلدة سوقولق	١٣٥
قرية ساز	١٣٦
إلى بلدة موسكو فسكي	١٤٢
حديث عن المسجد	١٤٩
المدرسة الإسلامية	١٥٠
مسجد أبي بكر الصديق	١٥٢
المسجد المؤقت	١٥٤
حديث عن المسلمين في المنطقة	١٥٥
العودة إلى بشكك	١٥٧
تسليم المساعدات المالية	١٥٨
توسعة المسجد الجامع	١٥٨
المعهد الإسلامي	١٦٠
قرية فستوك	١٦١
مغادرة قيرغيزستان	١٦٢
إلى طشقند	١٦٣
بيع الضيافة	١٦٥
في سماء طشقند	١٦٧
الفهرس	١٦٩